

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر 2

مدارس المغرب الأوسط
الزيانية و المرينية
(دراسة تاريخية أثرية)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور صالح بن قربة

من إعداد الطالبة:
بوخضر فايزة

السنة الجامعية 2010-2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر 2

مدارس المغرب الأوسط

الزيانية و المرينية

(دراسة تاريخية أثرية)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

صالح بن قربة

من إعداد الطالبة:

فايزة بوخضار

لجنة المناقشة:

— خديجة نشار..... رئيسا.

— شريفة طيان..... عضوا.

— هجيرة تليكشت..... عضوا.

السنة الجامعية 2010 – 2011

شكر و عرفان

اشكر الله تعالى الذي ألهمني الصبر حتى أتممت هذا العمل المتواضع

و أتوجه بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور صالح بن قربة الذي

تابع باهتمام كل مراحل هذا البحث، و على المساعدة القيمة التي قدمها لي، و الذي لم

يخل علي بنصائحه و توجيهاته.

كما أقدم له كل التقدير و الامتنان على سخاءه في الميدان العلمي، باعتباره احد

أعمدة معهد الآثار بجامعة الجزائر

فبارك الله فيك.

إهداء

إلى اعز ما لدي.....والديا الكريمين،

إلى قرة عيني أبنائي.....رامي و وليد،

إلى زوجي رفيق دربي ،

إلى من شجعوني و ساندونيإخوتي،

إلى جميع الزملاء و اخص بالذكر الزميل "العيشي كمال "

المقدمة:

ليس غريبا أن يهتم المسلمون بالعلم و التعليم ما دامت أول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم تأمره بالقراءة، حيث يقول تعالى "اقرأ بسم ربك الذي خلق،خلق الإنسان من علق اقرأ و ربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"فهي دعوة صريحة للتعلم جاءت لتؤكد أهمية العلم في حياة المسلمين. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتق الأسرى مقابل تعليمهم المسلمين القراءة و الكتابة، وكان يدفع الناس إلى الإحاطة بمبادئ العلم لقوله صلى الله عليه وسلم:"من أراد الدنيا فعليه بالعلم و من أراد الآخرة فعليه بالعلم و من أرادهما معا فعليه بالعلم".

لقد احتل العلم منزلة رفيعة في الإسلام، فمنذ ظهوره شرع المسلمون بالتعلم فكانت المساجد المراكز الأولى للتعلم ، حيث درست فيها العلوم الدينية ثم اتسعت للعلوم الأخرى المختلفة كاللغة و الطب مما أدى إلى ظهور دور العلم و الحكمة لتبرز المدارس فيما بعد كمؤسسات مستقلة تنحصر وظيفتها الأساسية في التدريس، و تتمتع بنظامها و أسسها و تستجيب لوظيفة المسجد و الخان اللذان يجتمعان فيها.

و تجدر الملاحظة في هذا الصدد إلى أن دراسة المعالم الإسلامية الأخرى كالمساجد قد حظيت بحصة الأسد بينما بقيت المدرسة بعيدة عن العناية و الاهتمام الذي تستحقه من قبل الباحثين و المنشغلين بهذا المجال الحيوي الواسع و هذا على الرغم من كونها تعد من ابرز المؤسسات التي أدت دورا مهما في تطوير الحركة التعليمية و نشر الثقافة الدينية و العلمية المتخصصة،فضلا عن صورتها المعمارية الفريدة وأنماطها المتميزة بين المشرق و المغرب.

و نظرا لهذا الدور الذي أدته هذه المعالم الثقافية في تاريخ نشر الإسلام و الثقافة العربية ببلاد المغرب الأوسط وقع اختياري على معالجة هذا الموضوع و هو مدارس المغرب الأوسط في العصر الزياني و المريني الذي يعتبر مادة غنية للبحث و الدراسة الذي لم يحظ باهتمام الباحثين و المهتمين إذ لم يخصصوا له دراسات شاملة و وافية تليق بمقامها.

و يبدو أن ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي يعتبر تطور كبير للحركة العلمية، ومؤشرا على مدى ازدهار الثقافة و الفنون و الآداب.

لقد شيد الزيانيون و المرينيون المدارس التي تعتبر من أهم معالم تلك الفترة و خاصة و إن السلاطين أعطوا لهذا النوع من العمائر اهتمام خاص ، لم تحض المدارس الزيانية بالدراسة الكافية وهذا لاندثارها جميعها و التي كان عددها ثلاثة الأولى سميت بالمدرسة القديمة او مدرسة أولاد الإمام ،و الثانية المدرسة التاشفينية التي تعد فريدة من نوعها و أخيرا المدرسة اليعقوبية .

أما المدارس المرينية فتعتبر من الأشياء الرائعة التي خلدها لنا التاريخ و لازالت تنطق بعظمة المرينيين في ميدان البناء و الزخرفة الرائعة ،و من بين المدارس التي بقيت صامدة هي مدرسة ابي مدين أو المدرسة الخلدونية التي بناها السلطان أبو الحسن المريني بتلمسان، لكن لم يضع الرث المريني لان بلاد المغرب الأقصى لازالت قائمة.

أسباب اختيار الموضوع:

قررت بحث موضوع مدارس المغرب الأوسط خلال العهد الزياني المريني:
-لان المدارس تعد من أهم المؤسسات التي وضع فيها الفنان لمسة خاصة ،هذا ما اكسبها أسلوبا متميزا في البناء و الزخرفة ،وأعطى لها طابعا خاصا ميزها عن غيرها من الحضارات الأخرى.
-اختيار تلمسان كمدينة لموضوع البحث باعتبارها مركزا للإشعاع الثقافي استقطب رجال العلم آنذاك و احتضن العديد من المراكز الدينية و العلمية.،و ما تسميات هذه المدارس إلا دليل على الأهمية التي تستحقها.
- دور هذه المدارس التربوي و التعليمي في بلدان المغرب الإسلامي،و الحياة الفكرية و العلمية التي كانت تتميز بها.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية هذا البحث على طرح مجموعة من التساؤلات تتعلق بالمدارس المزمع دراستها و التي لعلها تنزع الغبار و لو قليلا على هذه التساؤلات و هي كالآتي:
-ماذا يمثل لنا ظهور المدارس معماريا و فكريا؟
-ماهي الأسباب التي جعلت حكام الفترة الزيانية و المرينية يهتمون بهذا النوع من العمائر
-كيف كان تخطيطها الهندسي؟
-ماهي المكونات المعمارية للمدارس الزيانية و المرينية ؟
-كيف كانت تجري الحياة الفكرية في هذه المدارس؟
-ما الدور الذي تلعبه في المجالس التربوية و التعليمية و نشر المعرفة؟

منهج البحث:

لمعالجة هذا الموضوع منهجا علميا يقوم على محورين رئيسيين:

- **المحور الأول:** نظري و يهتم بالجانب التاريخي لظهور المدارس و كل ما يتعلق بتاريخ تأسيسها ،و الوثائق و النصوص التي لها علاقة بالموضوع و خاصة تلك الآراء و النظريات التي حيكت حول مسألة المدارس المغربية في العصر الإسلامي.

- **المحور الثاني:** تطبيقي و يأخذ في الاعتبار الدراسة الميدانية من الرفع المعماري و الأثري للمعالم فضلا عن الاهتمام بهذه الآثار تخطيطا و بناء و عمارة و زخرفة و تعليما.

نقد المصادر و المراجع:

سوف أتناول في هذا العنوان مجموعة من المصادر و المراجع التي لها علاقة وطيدة بموضوع البحث سواء من الناحية التاريخية او الناحية المعمارية و هي كالآتي:

- عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808ه/1406م) في كتابه العبر و ديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر و الخبر طبعة بولاق الجزء السابع الذي تطرق فيه على تاريخ الدولة الزيانية، كما تضمن الكتاب أسماء العلماء الدين درسوا بمدارس تلمسان .

- يحيى ابن خلدون(ت 780ه/1378م) في كتابه بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد تحقيق عبد الحميد حاجيات ، في جزءه الأول والثاني حيث تمكنا من اخذ معلومات وافية منه حول تاريخ الدولة الزيانية في الفترة التي عرفت فيها ازدهارا و تقدما، كما ذكر أيضا في هذا الكتاب أسماء العلماء و الأولياء الدين ساهموا في تطور الحياة الفكرية .

-ابن مرزوق الخطيب التلمساني (ت 781/1389م) في كتابه المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بغيرا ،و ذلك حول إنشاء المدارس و دورها التربوي و التعليمي في بلاد المغرب كما ذكرها كلها سواء المشيدة في المغرب الأقصى أو المغرب الأوسط،

-محمد ابن عبد الله التنسي(ت 799ه/1493م) في كتابه تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ،مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمد بوعباد ، الذي يذكر تاريخ بني زيان مع الإشادة بمؤسساتهم .

-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ/1631م) الذي جمع فيه بين الأدب و التاريخ ،و أخبار الملوك، وذكر فيه أسماء العلماء و الفقهاء الذين درسوا بمدارس كل من تلمسان و فاس و مراكش.

- الأستاذ الدكتور صالح بن قربة في كتابه تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر الذي طبع سنة 2007، الذي يحتوي على معلومات جد هامة حول مدارس المغرب الأوسط

ومن المراجع الأجنبية التي استفدنا منها لدينا :

-Bourouiba Rachid : l'art religieux musulman en Algérie ,2eme édition
SNED 1981.

-Marçais(g) et (w) : les monuments arabes de Tlemcen, fontemoiny,
paris 1905.

-Brosslard (ch) : les inscriptions arabes de Tlemcen extrait du journal
asiatique1917-1918.

-Golvin (L) : la medersa médiévale, edisud 1995.

خطة البحث:

لقد ألزمت نفسي بإتباع منهجية محددة و هذا تحت إشراف و إرشادات الأستاذ المشرف و هي تعتمد على مقدمة مدخل و ثلاث فصول وخاتمة،مع ثبت بالمصادر و المراجع ،ثم فهارس العلام و الأماكن و الملاحق الموضحة للمتن.

-في المقدمة أعطيت تعريفا و جيزا لموضوع للبحث مع التطرق لاشكالياته ،و توضيح المنهجية التي اتخذتها في بحثي.

-أما المدخل تطرقت فيه إلى النقاط التالية:

تاريخ ظهور المدارس في المشرق و المغرب الإسلاميين وبداية المدارس كمؤسسات تعليمية خاصة ،ثم قمت بتعريف المدرسة مصطلحا ووظيفة ،و كذا إعطاء نبذة تاريخية على مدينة تلمسان باعتبارها عاصمة المغرب الأوسط آنذاك مع التطرق إلى المراحل التاريخية التي مرت بها المدينة .

الفصل الأول:المدارس الزيانية

فخصصته لتمهيد وجز يتعلق بدولة بني زيان و الدراسة التاريخية و الأثرية للمدارس الزيانية،حيث تطرقت إلى موقعها و ظروف تأسيسها و دراسة أقسامها و مكوناتها المعمارية إلى جانب الناحية الزخرفية وهنا يتعلق الأمر بمدرسة أولاد الإمام و المدرسة يعقوبية و أخيرا المدرسة التاشفيتية.

الفصل الثاني: المدارس المرينية

فتناولت فيه كذلك تمهيدا يخص الدولة المرينية و الدراسة المعمارية و الفنية للمدارس المرينية بمدينة تلمسان هي مدرسة سيدي أبي مدين بالعباد و مدرسة سيدي الحلوي حيث الذي كان محور الدراسة فيه غير بعيد عن الفصل الأول حيث تطرقت فيه أيضا إلى دراسة أقسام المدرسة المعمارية دون الاستغناء عن الجانب الفني.

الفصل الثالث :دور المدرسة التربوي و التعليمي

تناولت فيه المدرسة و نظامها عند المسلمين و نظام التعليم بالمغرب الأوسط،و المراحل التي كان يمر بها التعليم آنذاك و الطرق العديدة التي يستعملها المدرس لإلقاء الدرس، و المستوى العلمي للمدرسين . و أنهيت البحث **بمخاتمة** أبرزت فيها أهم النتائج التي كشفتها لنا هذه الدراسة.

-صعوبات البحث:

لايفوتني أن أشير إلى العقبات التي اعترضتني وهي:

- موضوع بحثي الذي ينصب على مدارس المغرب الأوسط قد زالت معالمها ،و خاصة بالنسبة للناحية الزخرفية ،فكان جد صعب فهي تكاد تنعدم.

- عدم وجود وثائق كافية عنها، حيث اغلب الدراسات العلمية، عبارة عن مقالات، أو بحوث في مجالات و دوريات.

وفي نهاية هذا الملخص ، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي تابع البحث قراءة و تصحيحا و توجيهها و إلى جميع أعضاء لجنة المناقشة الذين صرفوا و قتا كبيرا في قراءة هذا العمل ،و كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد ،و اخص بالذكر زميلي العيشي كمال الذي كان شديد الصبر و التحمل،و عمال مكتبة و أرشيف الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية بقصر رياس البحر.

أحمد الله الذي ساعدني و أعطاني القدرة على البحث و إتمام هذه الدراسة، فمهما كانت بساطتها فهي ذات فائدة.

و ختاماً فإن أصبت فمن الله وان أخطأت فمن نفسي .

- وما توفيقي إلا بالله- صدق الله العظيم

منخل علم

-أولاً: ظهور المدارس و انتشارها.

-ثانياً: انتشار المدارس ببلاد المغرب.

-ثالثاً: مفهوم المدرسة مصطلحا و وظيفة.

-رابعاً: نبذة تاريخية عن مدينة تلمسان.

يشمل هذا المدخل على عدة نقاط أساسية أثرت فيها بعض القضايا الرئيسية التي تهم موضوع البحث ،وهي حسب أهميتها التالية:

اولا- ظهور المدارس و انتشارها:

1-في المشرق:

لقد ظهرت المدارس كمؤسسات تربوية و تعليمية في الإسلام، نتيجة للتطور الذي أصاب الحياة الدينية و الثقافية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، كما كان لتشجيع الأمراء و السلاطين للعلماء الأدباء على القيام بنشر الإسلام و الثقافة العربية و لا سيما دعم المذاهب السنية المعروفة آنذاك للوقوف في وجه الفرق الدينية المختلفة ، الأثر الأكبر في نشأة المدارس الإسلامية التي ساعدت على خلق جو من التنافس العلمي و الأدبي بين المدن و الحواضر المشرقية منذ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ،و هكذا نجد أن مدينة نيسابور تعتبر أول مدينة أطلقت كلمة مدرسة على دار العلم و ذلك أثناء حكم السلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري.¹

فقد ذكر المقرئزي بخصوص نشأة المدارس بان المدارس مما حدث في الإسلام ،و لم تكن معروفة في زمن الصحابة و لا التابعين ،و إنما حدث عملها بعد الأربعمئة من سنة الهجرة و أول من حفظ عنه انه بنا مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، فبنيت المدرسة البهيقية.²

فالمدرسة البهيقية تأسست قبل أن يولد نظام الملك ،أما المدرسة السعدية فقد بناها نصر الدين بن سبكتكين اخو السلطان محمود الغزنوي و مدرسة بناها إسماعيل الاسترابادي الصوفي الواعظ و أخرى بنيت للأستاذ آبي إسحاق الاسفرايني حوالي سنة 418هـ/1027م و هناك من الباحثين من انه يرى أن عدد المدارس التي بنيت حوالي ثلاث و ثلاثين مدرسة قبل النظامية.³

ويبدو أن هذا النوع من المؤسسات مقتصر على بلاد فارس حتى بنيت المدرسة النظامية في بغداد سنة 457هـ/1064م ،حيث يذكرها ابن جبير في حديثه عن مدارس بغداد:⁴ "....و المدارس بها نحو الثلاثين ، و هي كلها بالشرقية ،و ما منها مدرسة إلا يقصر القصر البديع عنها ،و أعظمها و أشهرها النظامية ، و هي التي ابتناها نظام الملك ، و جددت سنة أربع و خمسمئة ،و لهذه المدارس أوقاف عظيمة و عقارات محتبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين...."

1) سعاد ماهر: مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة ،1971 ص 15.

2) المقرئزي: كتاب المواعظ و الأخبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزي ج2 القاهرة (د-ت) ،ص363

3) كامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية :نشوء المدارس الإسلامية و خصائصها في العصر العباسي دار الفكر اللبناني -بيروت ط1 1990 ص 24-25 .

4) ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الإسفار المعروفة برحلة " ابن جبير " ،دار صادر بيروت ، 1945، ص 205.

و لقد اشار، تاج الدين السبكي المتوفى سنة 771هـ/1369م في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى" إلى عدد من المدارس التي شيدها الوزير نظام الملك بحوالي 10مدارس وهي :

بغداد و بلخ و نيسابور و هراة و اصبهان و البصرة ثم مرو و آمل و أخيرا الموصل.¹

بعد المدرسة النظامية تأتي المدرسة المستنصرية في الدرجة الثانية من حيث الشهرة انظر (المخطط رقم 1) ، و سميت كذلك (أي المستنصرية) نسبة إلى مؤسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله والذي حكم من 625-631هـ/1233م.²

بعدها انتقلت حركة تشييد المدارس من العراق إلى الشام، فحين زار ابن جبير مدينة دمشق عاصمة الأمويين قال عنها: "و من أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين³ رحمه الله... وهي قصر من القصور الأنيقة"⁴. ووصل نظام المدارس إلى مصر في أواخر العهد الفاطمي و كانت الإسكندرية أول منشأ لنظام المدارس ذات المذهب السني ، فأول مدرسة شيدت كانت على يد الوزير الفاطمي الحافظ رضوان بن ولخشي و ذلك سنة 532هـ/1137م.⁵

ثم مدرسة للشافعية على يد الوزير علي بن السلار و ذلك سنة 544هـ/1149م.⁶

و لقد تواصل إنشاء المدارس حتى بعد وفاة صلاح الدين من أهمها المدرسة الكاملية انظر (المخطط رقم 2) التي أنشأها السلطان الكامل سنة 621هـ/1124م و المدرسة الصالحية انظر (المخطط رقم 3)نسبة للصلاح نجم الدين أيوب سنة 639هـ/1241م ، و كانت مخصصة للمذاهب الأربعة .

وكان ديوان الاحباس و الأوقاف هو المكلف بالصرف على هذه المؤسسات و ذلك بدفع المراتب لمستخدميها و المنح للطلبة.⁷

(1) نقلا عن كامل حيدر: المرجع السابق ص 27-28.

(2) ابن بطوطة : الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، دار صادر ، بيروت 1384هـ/1964م، ص 225.

(3) هو نور الدين زنكي، يلقب بالملك العادل هو الابن الثاني لعماد الدين زنكي، حكم حلب بعد وفاة ابيه (569-511هـ/1118-1174م) انظر محمد ابن عثمان الذهبي سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت 1422هـ/2001م، ج 20، ص 531.

(4) ابن جبير: المصدر نفسه ص 265.

(5) محمد عبد الرحيم غنيمه: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، تطوان، المغرب 1953، ص 82-83.

(6) احمد فكري: مساجد القاهرة و مدارسها ، ج 2، دار المعارف مصر 1119 ص 49-50

(7) د/لعرج عبد العزيز: المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيرية، دراسة أثرية معمارية و فنية ، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية

1999 ص 30

2- في المغرب:

أما في المغرب فقد اختلف الباحثون، حول تحديد بداية ظهور المدرسة المغربية بفعل تباين المصادر المعتمدة في الموضوع حيث تشير النصوص التاريخية على وجود المدارس في المغرب الإسلامي.

منذ عهد حكم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) حيث يذكر ابن أبي زرع في كتابه (الأنيس المطرب بروض القرطاس) بقوله: "انه كان عالما بالحديث و الفقه و اللغة، مشاركا في كثير من العلوم النافعة للدين و الدنيا، محبا في العلماء، معظما لهم صادرا عن رأيهم..."¹ كما يواصل ابن أبي زرع في فقرة أخرى، متحدثا عن الأعمال العمرانية للخليفة الموحدي يعقوب المنصور في قوله "...و حصن البلاد و ضبط الثغور و بنا المساجد و المدارس في بلاد المغرب و افريقية و الأندلسو أجرى المرتبات على الفقهاء و الطلبة على قدر مراتبهم و طبقاتهم".²

أما ابن مرزوق في كتابه (المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن) فقد جاء برأي مخالف حيث يقول: " إن إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى انشأ مولانا المجاهد الملك العابد (أبو يوسف ابن يعقوب المريني) مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس و بعدوة القرويين منها".³

كما أشار التيجاني في رحلته أن أول مدرسة انشأت كانت "المدرسة المنتصرية" التي بنيت بطرابلس الحفصية بين سنتي (630-658هـ) - (1234-1260م) بقوله: "أحسنها المدرسة المستنصرية التي كان بناؤهافيها بين سنة خمس و خمسين"⁴. واعتبرها القاعدة لانطلاق بناء بقية المدارس التي أشار إليها من قبل، بحيث أن المستنصر الحفصي الذي ولي الحكم سنة 646هـ/1248م، و الذي تلقب بالخلافة سنة 650هـ/1252م، قد اخذ التقرب من المالكية في افريقية عن طريق تأسيس مدرسة.⁵

إن هذا التباين في الآراء و الاختلاف في وجهات النظر ما هو إلا سبب لغياب الشواهد الأثرية و ذلك لاندثار المباني التعليمية التي ترجع إلى الفترة السابقة عن المرينيين، وعليه فان استعمال مصطلح المدرسة في المصادر قد يكتنفه الغموض و قد يستخدم دون التدقيق في معناه و دلالاته و أبعاده.⁶

(1) المقرئزي: الخطط، ج 3، ص 315-316.

(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط الرباط 1999 ص 268.

(3) ابن مرزوق التلمساني : المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن (تح : د/ ماريا خيسوسبيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع) الجزائر 1981 ص 405.

(4) أبو العباس احمد التيجاني : رحلة التيجاني ، المطبعة الرسمية تونس 1958 م، ص. 251.

(5) محمد القبلي : قضية المدارس المرينية ، ملاحظات و تأويلات ضمن كتاب: في النهضة و التراكم -المعرفة التاريخية- دار توبقال للنشر الدار البيضاء 1987 ص 51

(6) الحاج موسى عوني: المدرسة المصباحية بفاس ، ملاحظات حول إشعاعها العلمي و مميزاتها المعمارية -المصنفة الفخرية للعالم محمد زبيس، المعهد الوطني للتراث تونس(د-ت) ص 2.

ثانيا-انتشار المدارس في بلاد المغرب:

أ-في تونس:

عرف القرن السابع الهجري ظهور ثلاث مدارس في تونس و ذلك خلال الحكم الحفصي (625-941ه/1218-1543م).

وأولها المدرسة الشماعية في سوق الشماعين في تلك الفترة¹ حيث أنشأها أبو زكريا عندما استقل عن الموحدين بمحاربة مذهبهم القائم على تعاليم ابن تومرت ، و إحياء للمذهب المالكي.²
أما المدرسة الثانية هي التوفيقية أو مدرسة الهواء أنشأها الأميرة الحفصية عطف أم المستنصر و زوجة أبو زكريا و ذلك حوالي 650ه/1252م و ذلك بالقرب من جامع الهواء.³
أما المدرسة الثالثة فهي المريدية التي أقيمت على أنقاض مخمرة وذلك بأمر من السلطان أبو زكريا يحيى الثاني وهذا سنة 683-1282م .⁴

وقد ازدادت المدارس انتشارا خلال القرن 9ه/15م حيث بلغ ستة مدارس.وقد واكب ظهور المدارس أنماط معمارية جديدة تتمثل في إلحاق مساجد أو زوايا أو أسبلة بها و نتيجة هذا التطور أطلق عليها "المدرسة الزاوية"⁵

1) ابن أبيدينار:المؤنس في تاريخ إفريقيا و تونس، تحقيق محمد شمام، ط1 المكتبة العتيقة تونس، 1967 ص134

2)Brunchving.(R) : « remarques sur les medersas tunisiennes »extrait de la revue tunisienne, 2éme trimestre 1931, p.273.

3) محمد بن خوجة: تاريخ معالم التوحيد ،المطبعة التونسية ،تونس، 1358ه ص288.
انظر

4) Brunchving.(R) : remarques.....p265
:

5) عبد العزيز لعرج:المباني المريدية في إمارة تلمسان الزيانية ، ص311.

ب- في المغرب الأقصى:

كان إنشاء المدارس في المغرب الأقصى بعد ثلاثين سنة من تاريخ إنشاء أول مدرسة في تونس وتعتبر الدولة المرينية بالمغرب الأقصى ، أكثر دول المغرب الإسلامي نشاطا في المجال العمراني بصفة عامة و وتشيد المدارس بصفة خاصة حيث ظهرت بعدد أوفر و جمال أروع.

و كانت أول المدارس التي انشأت بالمغرب الأقصى مدرسة الصفارين التي يرجع تاريخها إلى حكم السلطان المريني الثاني أبو يعقوب ابن عبد الحق (657-685هـ/1258-1286م) في أواخر القرن 7هـ/13م.¹
بعد مدرسة الصفارين يمكننا تصنيف المدارس التي ظهرت إلى ثلاثة مجموعات حيث كل مجموعة تعود لعهد معين.²

-المجموعة الأولى: (710-732هـ/1310-1331م) ترجع إلى عهد أبي سعيد عثمان المريني ، حيث انشأ هو و ابنه الأمير أبو الحسن أربع مدارس هي:

مدرسة فاس الجديد،مدرسة دار المخزن وذلك سنة 720هـ-1321م، ثم مدرسة الصهريج (الكبرى) بناها الأمير أبو الحسن و ذلك سنة 721هـ/1323م و كملت سنة 725هـ/1325م.³

-المجموعة الثانية:(749-759هـ/1348-1357)

تضم مجموعة المدارس التي انشاها السلطان أبو الحسن أو كلف بها ولي عهده أبا عنان و تشمل مدرسة سلا ، التي شيدت سنة 746هـ/1341م و المصباحية التي عاصرت تاريخ تأسيس مدرسة سيدي بومدين بتلمسان سنة (747هـ/1346م).⁴

ولقد ذكر ابن مرزوق ان أبا الحسن انشا في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى و الأوسط مدرسة "فانشا بمدينة تازي قديما مدرستها الحسنة ،وبيلاد مكناسة و سلا و طنجة و سبتة وانفي و ازموور و اغمات و مراکش و القصر الكبير و العباد بظاهر تلمسان، و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان....".⁵

1) Bel, Alfred : Inscription arabes de Fès, extrait du journal asiatique, 1917-18
Imprimerie nationale, paris, 1919, p.93.

2) Marcais. (G) :l'architecture musulmane d'occident arts et métiers graphique,
paris1954p.272.

3) Marcais (.G) : نفس المرجع ،ص 86

انظر:

انظر:

4) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر

5) ابن مرزوق:المسند الصحيح.....ص406.

-المجموعة الثالثة: (749-759هـ/1348-1357م)

وهما المدرستان اللتان تنسبان لأبي عنان فارس، بوعنانية مكناس التي ابتداءً بإنشاءها على عهد والده ، وبوعنانية مدينة فاس الكبرى التي تمتاز بجمال فائق¹. وكان يطلق عليها المدرسة المتوكلية و تعد هذه الأخيرة آخر المدارس التي أنشأها بنو مرين.²

ج- في تلمسان: (الخريطة رقم 1).

أما بالنسبة لتلمسان كان تأسيس أول مدرسة في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول حيث انشأ سنة 710هـ/1310م للعالمين الجليلين و الفقيهين الشهيرين أبي زيد عبد الرحمن و أبي موسى عيسى ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام³ من أهل برشك* التي لم يبق منها غير المصلى الصغير المشرف على الصحن الصغير⁴

أما المدرسة الثانية فهي التاشفينية و ذلك خلال حكم أبي تاشفين (718-737هـ/1318-1336م) سميت في حياته باسمه ثم دعت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته⁵ حيث تعد فريدة من نوعها في بلاد المغرب من حيث تخطيطها أو فسيفسائها الخزفية و المحفوظة أجزاء منها في متحف تلمسان.⁶

(1) حسن الوزان المعروف بليونالإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ج1، بيروت لبنان، 1983،

ص215-225-226.

(2) د/عبد العزيز سالم: مدارس فاس في /مساجد و معاهد سلسلة كتاب الشعب رقم 78، ج2، مطابع الشعب ، القاهرة

1960 ص205.

(3) محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان حققه محمود بوعباد 2007 ،

4) Marçais. (G) : remarques sur les medersasfunéraires en berberie, mélangesGaudfroy

انظر. 264. p demombyneS, institut français, le caire , 1937

*برشك : مدينة بالساحل الغربي الجزائري ما بين شرشال و تنس

5) Barges.(G.L.L) : Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, paris 1859 pp.326-33

6) Marçais.(W) : musée de Tlemcen, édition Ernest Leroux, paris, 1906, p20

و في حدود (763- 765هـ/1361-1363م) بنيت المدرسة اليعقوبية بجانب ضريح سيدي إبراهيم المصمودي¹ على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني.²

أما المدرسة التي لا تزال قائمة فهي مدرسة سيدي بومدين التي بناها السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني و ذلك سنة (747هـ-1347م) لتكون أول مركز علمي و ثقافي بمدينة تلمسان ، ولقد غلب عليها اسم العباد فأصبحت تعرف (بمدرسة العباد) و لقد أشار ابن مرزوق إليها قائلا: "... وبالعباد ظاهر تلمسان و حذاء الجامع الذي قدمت ذكره ، و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان..."³

أما المدرسة الأخيرة فهي مدرسة سيدي الحلوي بناها السلطان أبو عنان فارس و ذلك سنة 754هـ/135 التي تقع بجوار ضريح الولي الصالح المتصوف أبي عبد الله الشوزي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي.⁴

و الآن بعد أن أتينا على ذكر أهم المدارس التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي في فترات متفاوتة ، حيث اشرنا إلى تواريخ تأسيسها و ذلك تسهيلا و توطئة لدراسة مصطلحاتها و وظائفها.

1- اصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة ولد ونشأ بها فلما كبر طلب العلم من جماعة من الأكابر كالشيخ موسى العبدوسي و الشيخ الإمام الشهير محمد الابلبي ، و كان معروفا بالورع و الزهد و الايثار ، توفي عام 804هـ و دفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان انظر: ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (د-ت) ص5.

2 ابن مرزوق :المسند الصحيحص406.

3 ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ص68-70.

4 ابن الحاج النميري: فيض العباب و إفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دراسة و إعداد محمد بن شقرون، الرباط، 1999 ص، 279.

ثالثاً- المدرسة مصطلحا ووظيفة:

المدرسة مشتقة من فعل (درس) بمعنى قرأ ، كما ورد في القرآن يقول الله تعالى: "لم تأخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه".¹
كما أن الحلقات الفقهية التي تقام في المساجد تعرف بالدرس، و كان يطلق أحيانا على معلم الفقه لقب "مدرس".²

و يذهب المقرئزي إلى تعريف المدرسة أنها تأتي من الفعل "درس الكتاب" يدرسه درسا ودراسة، و المدرس :هو الموضع الذي يدرس فيه.³ و نجد أن عبارة (و درسوا ما فيه) تعني (قرأ ما فيه)، و قوله تبارك و تعالى: "وكذلك نصرف الآيات و ليقولوا درست و لنبينه لقوم يعلمون"⁴

و قد ظهرت المدرسة مع تطور العلوم الإسلامية ، بحيث أصبحت تضم علوما أخرى كالفلسفة و الأدب و اللغة ، و هنا أصبح المسجد لا يسع لذلك لأنه كان يتخذ للصلاة ، كما أن المدرسة أصبحت تأوي الطلبة الأجانب ، فهي ذات نظام و أسس تستجيب في أن واحد لوظيفة المسجد و الخان.⁵

أما مدلول المدرسة معماريا، فهي مؤسسة تضم بيتا للصلاة و الدراسة في أن واحد حيث تعرف باسم (القبّة)، كما تحتوي أيضا على صحن مكشوف واسع، و سكنى للطلبة بها طابق أو طابقين بهما غرف و مرافق أخرى إلى جانب مكتبة.

و بهذا الصدد يقول الدكتور احمد فكري: " اتخذت المدرسة وظيفتها الرئيسية من كونها أعدت لسكن الفقهاء"⁶

(1) الآية 169 من سورة الأعراف.

(2) جورج مقدسي: "مؤسسات العلم الإسلامية ببغداد"، الأبحاث تصدر عن الجامعة الأمريكية ببيروت 1961، ج3، ص295.

(3) المقرئزي: المصدر السابق ج 2، ص362.

(4) الآية 105 من سورة الأنعام.

(5) Hillenbrand,(R) : « madrasa », encyclopédie de l'islam T.V paris, GP Maisonneuve, 1986 .
p1119/1120.نظر:

(6) د/ احمد فكري: مساجد القاهرة و مدارسها ج2دار المعارف ،مصر1119 ، ص109-121

فمن الواضح أن المدرسة المستقلة لها شروط خاصة و تعريفها مستمد من البيوت المخصصة لسكنى الشيوخ و الفقهاء و الطلبة، لذلك فالمدارس الإسلامية اعتمدت على مواصفات، منها جدار القبلة يعتبر كقاعدة لتخطيط البناء وحدودها الداخلية تنتظم في مستطيل أو مربع قائم على خط هذا الجدار ، و اعتمدت أيضا على وجود بيت صلاة في كل مدرسة و يكون موقعه دائما في الجهة القبليّة من المدرسة و هو من أهم قاعاتها و أوسعها.¹

وبعد أن عرفنا هذه النقاط السالفة الذكر يحسن بنا التطرق إلى تاريخ مدينة تلمسان باعتبارها هي التي اشتملت على المؤسسات التعليمية المدارس ،و ذلك حتى نكون على بينة من ظروف التأسيس و أسماء المؤسسين و أسماء المدارس كما يساعدنا على فهم المدرسة معماريا و وظيفة

1-د/كامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية : نشوء المدارس الإسلامية و خصائصها في العصر العباسي ، ص 26.

رابعا - نبذة تاريخية عن مدينة تلمسان:

يذهب اغلب المؤرخين إلى القول؛ أن تلمسان قديمة النشأة، وقد اهتم الباحثون في العصر الحديث بدراسة آثارها، و توصلوا إلى أن منطقتها عرفت استقرار الإنسان منذ عصر ما قبل التاريخ، كما عثر على مخلفات أثرية تعود إلى العصر الروماني، حيث كان يطلق عليها اسم بوماريا¹

وقد اختلفت أخبارها في العهدين الوندالي و البيزنطي، و في العهد الإسلامي حلت محلها اجادير² ويصفها ابن خلدون بأنها قاعدة المغرب الأوسط ويقول متحدثا عن أجدير: "اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم..... و لم نقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بان أبا المهاجر الذي ولي افريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى و الثانية (أي حوالي 45هـ/665-666م) توغل في ديار المغرب ووصل إلى تلمسان و به سميت عين أبي المهاجر"

و يذهب أن كلمة تلمسان، في لغة زناته، مركبة من كلمتين: «تلم-سين، و معناها تجمع بين اثنين البر و البحر»³

و يضيف أخوه يحي بأنه يقال عنها تلمشان، وهي كلمة مركبة من تل، و شان و تعني شأن، كما لها معنى آخر حيث انها تجمع بين الصحراء و التل.⁴

1) Piesse (L) et Banal (J) : Tlemcen (extrait de la revue l'Afrique française), paris 1889p. انظر:

2) ابن خلدون (يحي): بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ج1، تح عبد الحميد حاجيات، م.و للنشر الجزائر 1980 ص 210.

3) ابن خلدون (عبد الرحمن): كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ط بولاق، ج7 ص156-157.

4) ابن خلدون (يحي): بغية الرواد، ج1، ص85.

وقد أخذت تلمسان تلعب دورها في التاريخ منذ ولاية أبي المهاجر دينار، حوالي منتصف القرن الأول الهجري (7م)¹، حيث وصل إلى عيون تلمسان، وهناك ظفر بكسيلة بن لمزم²، وعند قيام ثورة ميسرة المدغري سنة 122هـ/739م.³ وجه الوالي الأموي، عبيد الله بن الحبحاب⁴ قائده أبا خالد حبيبا ابن أبي عبيدة⁵ من جزيرة صقلية على رأس جيش ليشارك في إخضاع ذلك الثائر الصفري بطنجة لكنه عندما وصل إلى تلمسان بلغه أن معركة الأشراف⁶ قد انتهت، فمكث بها إلى أن التحق به الوالي الجديد كلثوم ابن عياض القشيري القيسي⁷، و ابن أخيه بلج، ثم انطلقوا منها لخوض معركة وادي سبو ضد الخوارج الصفرية.⁸

(1) لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة و نظم، الجزائر 1981، ط2، ص35.

(2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص216. ط. بيروت.

(3) هو ميسرة المدغري رئيس الصفرية انظر (ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق و مراجعة ش. كولان و إ. ليفيورفسال، بيروت 1948، ج1، ص59.

(4) هو عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث، مولى ابن سلول، كان كاتباً ثم أصبح عامل خراج مصر، وبعد ذلك عينه الخليفة هشام والياً على إفريقية، فقدم إليها سنة 116هـ/735م انظر: (ابن عذارى، المصدر السابق ص51، لقبال موسى المرجع السابق ص106).

(5) أبو خالد بن أبي عبيدة، و يسميه ابن عذارى حبيب ابن أبي عبدة ابن عقبة بن نافع الفهري انظر (البيان، ج1، ص51).

(6) معركة الأشراف دارت قرب طنجة سنة 122هـ/739م، بين خالد بن حميد الزناتي، زعيم الصفرية، بعد ميسرة المدغري، و بين خالد ابن أبي حبيب بن أبي عبيدة، قائد عرب القيروان الذي قتل مع عدد كبير من أعيان العرب و أشرافهم، فسميت لذلك معركة الأشراف انظر (ابن عذارى، المصدر السابق ج1، ص54).

(7) انظر: لقبال موسى، المرجع السابق، ص107.

(8) الصفرية هم أتباع ابن الأصفر، أو ابن الصفار و هم من الخوارج، يختلفون عن الاباضية في حكمهم على العقدة عن القتال انظر (الشهرستاني (محمد ابن عبد الكريم) الملل و النحل، تحقيق كورتر، لندن 1842، ج1، ص102).

و تتصدر تلمسان الأحداث في عهد أبي قرّة اليفريني¹ الذي أعلن نفسه خليفة بها ، و تزعم الخوارج الصفيرية في ثورتهم ضد عمال الخلافة العباسية في القيروان² و عندما انهزم عاد إلى موطنه بنواحي

تلمسان ، و يذكر ابن خلدون أن إبراهيم ابن الأغلب ، نزل بها، عندما قام بحملة ضد أبي قرّة³ و في سنة 173هـ/789م، نزل إدريس بن عبد الله⁴، مؤسس الدولة الإدريسية قرب المدينة ، فتلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة و تلمسان فدخل في طاعته و حمل عليها مغراوة و بني يفرن و أمكنه من تلمسان فملكها⁵، و بقي بها بضعة أشهر ، ثم عاد بعد ذلك إلى عاصمته "وليلي"⁶

و تذكر بعض المصادر انه ولى أخاه سليمان ، و قد توجه إدريس الثاني بدوره إلى تلمسان و بقي بها ثلاث سنوات⁷، و لما مات سليمان خلفه ابنه "محمد" على إمارته، الذي اقتسمها أبناءه ، بعد ذلك ، فاستقل كل واحد منهم بمدينة أو بحصن⁸.

1) هو زعيم الصفيرية و رئيس مغيلية و بني يفرن بالمغرب الأوسط انظر : ابن خلدون (العبر ج 6 ، ص 225-226).

2) لقبال موسى : المرجع السابق ، ص 161.

3) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر، ج 7 ص 156.

4) هو إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي انظر: الزر كلبي (خير الدين)، الأعلام، ط2، ج3، ص188.

5) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر، ج7، ص 157.

6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 7-8.

7) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب تحقيق و مراجعة ش كولان و إ. ليفيروفنسكال ، مكتبة صادر

بيروت 1948، ج1، ص 83-22-211.

8) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج6، ص 34.

و قد سيطر بنو محمد بن سليمان على تلمسان و أعمالها منذ بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، بدءوا يضعفون و اخذ الزناتيون يسترجعون أمصارها شيئاً فشيئاً ، بقيادة محمد بن خزر الذي كان يشكل اكبر قوة بالمنطقة ، بدليل انه تصدى وحده للفاطمين عند استيلائهم على مدينة تاهرت¹ ، و هو ما لفت نظر خصم هؤلاء، أمير قرطبة ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله² ، الذي بادر بإيفاد مبعوثهم محمد بن عبد الله بن عيسى إلى محمد بن خزر ليستميله إلى صفه إلى أعدائه العبيدين فلقي منه استجابة.³

و بعدها تحولت تلمسان و أعمالها إلى منطقة صراع بين الخلافتين الأموية بالأندلس و الفاطمية بأفريقية استمر إلى أن رحل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة 361هـ/971م.⁴

و بعد ذلك اخذ أمراء مغراوة يتنافسون على السلطة بها، و لم يصف الجو ليزيري بن عطية إلا سنة 378هـ/988-989م⁵ ، وبفضل تدعيم المنصور بن أبي عامر⁶ ، حاجب الخليفة الأندلسي هشام المؤيد بالله⁷ له ، إلا أن ذلك التدعيم لم يمنح ابن عطية من إعلان تمرد على السلطة الأندلسية التي لم يعد أو وجودها بالمغرب الأوسط أي مبرر ، ما دام الفاطميون صرفوا عنه أنظارهم ، نهائياً ، إلى بلاد المشرق لكن تلك السلطة تشبثت بنفوذها في المغرب و حافظت عليه إلى أن اشتعلت نار الفتنة في الأندلس سنة 398هـ/1067م⁸.

1 ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر، ج 7، ص 52-53.

2 هو عبد الرحمن الثالث بن محمد بن عبد الله أول خلفاء الأندلس (300-350هـ/912-961م). انظر: البيان المغرب لابن عذارى المراكشي، ج 1، ص 194.

3 ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج 2، ص 34.

4 ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج 6، ص 275-276.

5 ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج 6، ص 275.

6 ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج 2، ص 41-42.

7 هو هشام الثاني المؤيد بالله بن الحكم الثاني ، تولى الخلافة بعد أبيه في صفر سنة 336هـ/976م، و هو في العاشرة من عمره ، مات في ظروف غامضة بعد قيام الفتنة في الأندلس سنة 403هـ/1013م. انظر ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب ، ج 3، ص 75.

8 بن عميرة محمد : دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 259.

و بقيت السلطة بتلمسان بيد الأمراء المحليين ، من مغراوة و بني يفرن الزناتيين إلى أن قامت دولة المرابطين¹ ، و استقر يوسف ابن تاشفين بمراكش و بدا يتوسع شرقا، فوجه حملة إلى المغرب الأوسط ، قادها مزدليتلكان ، فهزم القائد يعلى ابن أمير تلمسان بجي².

و عاد مزدلي دون أن يستولي على عاصمته ، و بعد ثلاث سنوات قاد يوسف بنفسه حملة كبيرة نحو الشرق ، فهاجم مغراوة ثانية في تلمسان ، و قتل أميرها العباس بن بجي و استولى على المدينة ، وواصل طريقه ففتح وهران و تنس و الونشريس و الجزائر و عاد إلى مراكش سنة 475هـ-1078م.³

و ترك محمد بن تينعمرالمسوفي قائد الجيوش بتلمسان ، فبني فيها محلة (أي معسكرا) سماها تآكرارت.⁴ أصبحت ثغرا من ثغور المرابطين في المغرب الأوسط ، يشنون منه الغارات على أراضي الدولة الحمادية⁵، وقد انشأ المرابطون أثناءها مؤسسات عمرانية هامة كمحطة تآكرارت بتلمسان و المسجد الأعظم الذي أمر ببناءها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين و ذلك في سنة 530هـ/1135م.⁶ و بقيت تابعة لهم إلى أن استولت عليها قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن (524-558هـ/1130-1163م) ، حيث بقي بها ستة أشهر جدد أثناءها بناء دورها و حصنها غاية التحصين و جملة ما بقي هو باب القرمدين الواقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة ، كما أتم بناء جامعها الكبير الذي بدا بناء المرابطون، ولقد جعل تلمسان قاعدة الولاية الغربية من المغرب الأوسط⁷

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج7، ص 37-93.

(2) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر ج6، ص 380-381.

(3) ابن خلدون (عبد الرحمن): العبر، ج6، ص 381

(4) هي تلمسان القديمة أو الحي القديم ، و يكتبها يحي ابن خلدون ، تآكرارت ، بناها ملك لمتونة يوسف ابن تاشفين في حدود 462هـ/1132م انظر : ابن خلدون (يحي) بغية الرواد.

(5) ابن خلدون، العبر ج6، ص 380.

(6) يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 186.

(7) شاوش الحاج محمد بن رمضان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية 1995، ص 69.

وعين كولي عليها سليمان بن محمد بن واندن الهنتاتي و في سنة 549هـ/1155م ، عين كولي على تلمسان ابنه السيد أبا حفص عمر إلى غاية 555هـ/1160م ، حيث استدعاه والده إلى مراکش و عين مكانه أخاهأبا عمران موسى و بقي بها حتى عام 564هـ/1165م ، وهي السنة التي تحرك فيها يوسف عبد المؤمن للجهاد بالأندلس ، فبعث مكانه إلى تلمسان أبا الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن وفي سنة 584هـ/1188م نقل السيد أبو الحسن علي إلى ولاية بجاية فخلفه على تلمسان ابن عمه السيد أبو الربيع سليمان ابن عبد الله بن عبد المؤمن ، فبقي فيها إلى أن توفي عام 604هـ/1207م.

وبعده تولى الحكم في تلمسان السيد أبا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن و ذلك في سنة 605هـ/1208م.

و بعد أن قتل هذا الأخير بتيهت في حرب يحيى ابن غانية الثائر على الموحدين و ذلك سنة 606هـ/1909م و لي مكانه أبا زيد ابن بوجان.

لما انتقلت الخلافة الموحدية إلى أبي العلاء إدريس المأمون عام 624هـ/1127م ، ولى على تلمسان أخاهالسيد أبا سعيد و كان هذا ضعيف الرأي و كان معه عاملا على الوطن الحسن بن حيون الكومي ، حيث أغراه ببني عبد الواد الذين كانوا الموحدون ا قطعوهم بلاد بين وامنو و بني يلومي بإقليم تلمسان مكافأة لهم في دفاع القبائل المنشقة، فقبض أبو سعيد على جماعة من شيوخ بني عبد الواد و سجنهم ، فتشفع فيهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان زعيم الجند اللمتوني سابقا ،فرد شفاعته ، فقام إبراهيم بدعوة ابن غانية و أمر بإلقاء القبض على الأميرأبي سعيد و أطلق سراح شيوخ بني عبد الواد في 624هـ/1227م و دخلوا تلمسان بدعوة الخليفة المأمون الموحدي، بعد أن قتلوا إبراهيم ابن إسماعيل ، وبعدها تولى الحكم على تلمسان ابر محمد جابر ابن يوسف عام 627هـ/1230م ، و استمرت تلمسان في مشيخة ابن عبد الواد إلى أن استقل بها يغمراسنبن زيان عام 633هـ/1235م، لكن الخليفة السعيد الملقب بالمعتصم لم يرض ذلك، فجاء بمجموع كبيرة قاصدا تلمسان ، فلقاه يغمراسن و انتصر عليه بواقعة تامزدكت* في 646هـ/1248م.¹

1-شاوش الحاج بن رمضان : نفس المرجع ،ص70-72.

*هذه الواقعة مكأها ببني سنوس ، غرب تلمسان.

الفصل الأول

☐☐

المحارس الزيانية: (633 - 1253/1964 - 1554م).

☐☐☐☐☐☐☐

تمهيد

1- مدرسة أولاد الإمام.

2- المدرسة اليعقوبية.

3- المدرسة التاشفينية.

خلاصة الفصل.

- تمهيد:

كان المغرب الإسلامي خلال القرن السابع هجري موحدا تحت راية الدولة الموحدية ، فشهد أثناءها استقرارا سياسيا و اجتماعيا استمر حوالي قرن من الزمن ، لكن كما نعرف أن الدولة لها أعمار طبيعية كما الأشخاص ، و دولة للموحدين لم تفلت من هذه القاعدة ، احدث الضعف يدب في حكمها فكانت هزيمة وقعة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ/1212م و تلتها ثورة بني غانية، ثم كانت وقعة بين الموحدين و بني مرين سنة 612هـ/1216م ثم كان تنافس الولاة و الأمراء على الرئاسة¹.

فنجم عن هذا ظهور ثلاث دول مستقلة ، حيث اخضع الجزء الشرقي لسيطرة بني حفص ، و الجزء الغربي لبني مرين ، بينما استقر بنو زيان بالجزء الأوسط ، حيث اتخذوا عاصمتهم تلمسان .انظر (الخريطة رقم2).

وهكذا انقلب الوضع بالنسبة لدول المغرب و أصبح التوتر يسوده طوال مدة حكم هذه الدول، تتخللها فترات من الاستقرار.وقد ساهم الصراع السياسي بين المرينين و الزيانيين مساهمة كبيرة في هذا التوتر. و قد لعبت مدينة تلمسان دورا هاما، كمركز لهذا الصراع.فقد اتخذها بنو زيان مركزا لسلطانهم منذ أن كانوا ولاة عليها من طرف الموحدين . لكن بعد أن عين الخليفة الموحيدي يغمراسن بن زيان عاملا على تلمسان و بلاد زناتة سنة 624هـ استطاع هذا السلطان أن يعلن استقلاله سنة 633هـ/1235م².

1) محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية 2007 ص83.

2) ابن خلدون(عبد الرحمن): كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر.... ج 13، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ص 162.

و لم تمض فترة طويلة من الوقت ، حتى تمكن بنو مرين من السيطرة على كامل المغرب الأقصى ، فتوجهوا بعدها بأنظارهم نحو المغرب الأوسط ، فكان الحصار المشهور لمدينة تلمسان ، التي كان عثمان بن يغمراسن بن زيان حاكما عليها.

و قد دام هذا الحصار الطويل ثماني سنوات و ثلاثة أشهر منذ سنة 698هـ/1298م. و أثناءه شيدت مدينة المنصورة. ولم يفك الحصار على المدينة ، إلا بعد أن قتل السلطان المريني أبو يعقوب¹، في عهد السلطان أبي زيان محمد.

شهدت بعد ذلك تلمسان فترة من الاستقرار، تخللتها فقط بعض الأحداث، و قد استمر هذا الاستقرار طول مدة حكم السلطان أبي زيان ، (703هـ/1303م إلى سنة 707هـ/1308م) و حكم السلطان أبي حمو موسى الأول الذي حكم من سنة (707هـ/1308م إلى سنة 718هـ/1318) حتى جاء الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبو الحسن إذ استطاع أن يهزم جيش أبا تاشفين ، و أن يدخل مدينة تلمسان سنة 737هـ.²

حيث قام بتجديد مدينة المنصورة للإقامة فيها. ولم يكن استقراره بها طويلا، إذ سرعان ما نصب السلطان أبا سعيد و أبا ثابت على تلمسان.³

و بعد وفاة أبو الحسن سنة 752هـ/1351م، خلفه نجله أبو عنان على عرش بني مرين، و لم يجلس على عرشه هذا حتى نهض إلى غزو تلمسان. فبرز لمقاومته أبي سعيد عثمان الزياني ، فانهزم أبو زيان، و استطاع أبو عنان أن يدخل تلمسان مرة أخرى سنة 758هـ/1352م و امتدت سيطرته على كامل المغرب الإسلامي لمدة وجيزة ، حتى تمكن السلطان أبو حمو موسى الثاني من اعتلاء عرش أجداده ، من جديد سنة 760هـ/ فكان هذا السلطان بمثابة الباعث الجديد لروح الدولة الزيانية ، فانتظمت أحوالها ، و تحسن اقتصاد تجارتها ، و ذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي.⁴ حيث أصبح محل صراع بين السعديين و الأسبان و الأتراك ، الذين قضوا عليها نهائيا عام 957هـ/1556م.

(1) قتل ابو يعقوب سنة 706هـ انظر: ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل): روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط 1962 ، ص19..

(2) ابن خلدون (عبد الرحمن): كتاب العبر.....، ص162.

(3) التنسي (محمد بن عبد الله): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ،تح محمود بوعباد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985، ص149.

1- مدرسة أولاد الإمام:

هي أول مدرسة أسست من طرف الزيانيين ، كانت تدعى بالمدرسة القديمة ، أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707-714هـ/1308-1318م) بالمغرب الأوسط و ذلك سنة 710هـ/1310م ، عين للتدريس فيها ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن (ت 743هـ/1342م) و أبي موسى عيسى (ت 749هـ/1349م) فصارت تعرف باسمهما (أي مدرسة أولاد الإمام)، و كان موقعها بالقرب من باب كشوطة غرب مدينة تلمسان.¹

لانملك المعلومات الكافية التي تدلنا على ضرفية تأسيس هذه المدرسة إلا قول التنسي الذي كان يتحدث عن أبو حمو موسى الأول قائلا: "..... كان محبا للعلم و أهله معتنيا به ، قائما لحقه ، ابنتى مدرسة لابني الإمام تكريما لهما و احتفاءا بهما ، و شكر الله على نعمته عليه لقتل عدوه أبي يعقوب المريني و تخليص تلمسان منه ، وقد بنيت داخل باب كشوطة".²

و يذكر المستشرق الفرنسي بروسلارد Brosselard ، أن الأمير كان يكلف الأخوين بمهام دبلوماسية تكلفت بالنجاح ، فبني لهما مدرسة ، و منازل خاصة لهما و لعائلتهما و قاعات كبيرة لاستقبال الطلبة و الضيوف ، و الحق بالمدرسة مسجدا للصلاة و زاوية للطلبة الأجانب عن تلمسان شكرا لهما و كان ذلك في السنة الرابعة من ملكه.³

1) ابن خلدون (يحيى): بغية الرواد، ج1، ص 130.

2) ابن مريم: البستانص126.

3) Brosslard (Charles) : « les inscriptions arabes de Tlemcen » (revue africaine ;1859ou1862):

و قد قدما ابنا الإمام هما من مدينة برشك، حيث كان والدهما إماما بأحد مساجد هذه المدينة فاشتهرا يومئذ بهذه النسبة و عرفا بها.

بعد استيلاء زيري بن حماد المكلاقي المعروف بزيرم على مدينة برشك سنة 683هـ/1284م رمى بإمام المدينة (والد الأخوين) بتهمة احتوائه على وديعة مالية لبعض أعداء زيرم و طالبه بها فانتهى الإمام منها فقتله زيرم غيلة.

و من هنا ارتحلا الأخوين في أواخر ق 7 هـ إلى تونس حيث اجتمعا هناك بفطاحل العلماء ، و بعد أن أنهى الأخوان رحلتهم العلمية بالمغرب العربي ، عادا إلى مسقط رأسيهما برشك ، لكن امتنعت عليهما لوجود زيرم بها. لذلك أقاما بمدينة الجزائر حيث كانا ينشران العلم بها ، في هذه الأثناء كان السلطان أبو يعقوب يوسف المريني يومئذ محاصرا لتلمسان و انتشرت جنوده في اغلب عواصم القطر الجزائري ، لهذا السبب ارتحلا الأخوان إلى مليانة عاصمة مغراوة ، كان بها آنذاك الكاتب منديل بن محمد الكيناني ضابط جباية مرين و صاحب أشغالهم ، فعرف منزلتهما، و قريهما منه حيث اتخذهما لتعليم ولده محمد.

وبعد وفاة السلطان أبو يعقوب المريني ووقع الصلح بين بني مرين و بني عبد الواد ، انتقل الأخوان صحبة الكيناني و حلا بتلمسان ، فاتصلا بالسلطان أبي حمو موسى الأول.

لما انتصر هذا الأخير على بلاد مغراوة و داع صيته ، كان آنذاك أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام هو سفير السلطان إلى زيرم ببرشك ، واستأذن السلطان في اخذ ثأره منه فأذن له،

و اخذ أبو زيد التردد على زيرم ببرشك حتى تمكن منه و ثار لأبيه و كان ذلك سنة 708هـ/1308م حيث صارت برشك لبني زيان.

استمرا الأخوان العالمان على صحبتهما لأبي موسى الأول بتلمسان إلى وفاته ، بعدها تقربا من ولده السلطان أبو تاشفين الأول مدة سنتين ثم غادرا إلى المشرق و ذلك سنة 720هـ/1320م ، حيث اجتمعا هناك بأكابر العلماء.

عادا ابنا الإمام من المشرق و كانا قد دعى صيتهما و اشتهرا بالتبحر بالعلم و عرفا بالإمامة و الاجتهاد المطلق ، فانهمال عليهما الطلبة حتى غصت مجالسهما العلمية.

و لما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلتهما و اختصهما بالشورى في بلدهما ، فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبي الحسن و نهض إلى فاس ، و لاه قضاء مكناسة و هلك حجا بمكة عند طواف القدوم سنة 764هـ.

عاش ابنا الإمام في كنف السلطان أبي تاشفين الأول الذي كان يبالي في إكرامهما ، حيث لازماه في قصره إلى أن استشهد في وقعة سقوط تلمسان في يد بنو مرين سنة 737/1337م.

و بعد استيلاء السلطان أبي الحسن المريني على تلمسان جاء بابني الإمام إلى قصره ورفع من شأنهما ، كما احضرهما معه وقعة طريف بالأندلس آخر سنة 740/1340م.

و كانت وفاة أبي زيد في العشر الأوسط من رمضان سنة 741هـ ، أوائل مارس 1340م و دفن ببلدته برشك. ازداد مقام أخيه رفعة عند السلطان أبي الحسن فعاش في أكنافه ، إلى أن شغل السلطان بحوادث تونس و القيروان ، وهنا استطاع أبو موسى الرحيل إلى بلده ، فأقام بها قليلا حتى وفاه اجله في الطاعون الجارف سنة 749/1349م.¹

1) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج2، دار مكتبة الحياة بيروت ص 152-156.

-الوصف المعماري للمدرسة:

علمنا من المصادر أن الملوك الزيانيين ابتنوا للأخوين المدرسة بناحية المطمر من تلمسان لطلبة العلم ، و ابتنى لهما دارين عن جانبيهما و جعل لهما التدريس فيها في إيوانين معدين لذلك،إلا انه بعد الحفائر الأثرية تم العثور على لوحتين من الرخام تحمل كل واحدة منهما كتابة ، احدهما في حالة جيدة من الحفظ ، أما الثانية فهي مكسرة طوليا ، وضعت هاتين اللوحتين في مقر البلدية حيث حفظت هناك .
الثانية فهي مكسرة طوليا .

مقاس اللوحتين (50سم x 43سم) ،تحتوي كلاهما على 15 سطرا ،و الثانية هي استمرارية للأولى و هذه الكتابة وقفية لكل من الزاوية و المسجد و المدرسة .

ومن حسن الحظ أن اسم الواهب و السنة واضحتين و هي كالتالي:

أمير المؤمنين المتوكل على رب العلمين أبو حمو ابن مولانا
الأمير ابن يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير أبي زكريا
ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحيا يغمراسن بن زيان و صلى
الله مفاخره و خلد أثار الكريمة و مآثره على هاذة الزاوية المباركة
المقامة على ضريح والد المذكور برد الله ضريحه فمن ذاك
ما بداخل تلمسن المحروسة جميع الطاحونة الملاصقة للزاوية
و الثلاثون حانوتا المعروفة بالصاغة القديمة و الكوشة التي بمنشر
الجلد و حمام الطبول و فرن مقسم الما و فندق العلية و بخارج
البلاد المذكور جميع الرحا السفلى بفعله بنى معلى و النصف
شايعا في روض المنية الكاينة بالرميل و زيتون تيفداو ارض
الزيتون المذكور ثم معصرته و رحاها و جميع الحبس
ملكه و شهرة الجميع تغنى على التحديد تحبيسا تاما مطلقا
عاما ووفقا ثابتا ابديا ليصرى ما يستفاد من الحبس المذكور
على معلمين العلم و طالبيه و إمام و مؤذن
عام ثلاثة و ستين و سبع مائة.....عام خمسة و ستين.¹

1) Brosslard(ch):Inscriptions arabes de Tlemcen,p 169-170:انظر

لكن الأسطر الأخيرة للكتابة لم تكن واضحة ، لكن ما لاحظته بروسلار آنذاك هو أن كلمة مسجد و مدرسة تظهران المرة تلوى الأخرى ، هذا ما يدل أن المؤسستين تدخلان ضمن الأوقاف الأخرى.¹

حسب رأي مارسى فان المدرسة كانت تحتل المساحة الواقعة في الركن الشرقي للمسجد ، وأنها كانت تتألف من قاعتين كبيرتين يتلقى فيها الطلبة دروسهم على يد الشيخين ابني الإمام، ومسكنين لهما، لكن لم يبق من هذه المجموعة المعمارية غير المصلى الصغير المشرف على الصحن الصغير الذين كانا تابعين للمدرسة. بنيت هذه المدرسة (15) سنة قبل مسجد سيدي بلحسن ، يظهر في مسجد أولاد الإمام الفن المغربي الذي يوحى بالهام مليء بالدقة و الجمال .

فقد مسجد أولاد الإمام معظم زخرفته، وهذا بعد أن استعمل كمدرسة قرآنية، وهذا حتى سنة 1968 حيث استرجع المسجد وظيفته الطبيعية.²

1. Brosslard(ch) : inscription arabe de Tlemcen ,p 171

انظر :

2-Bourouiba(R) : L'art religieux musulman en Algérie ,2eme édition S.N.E.D, Alger, 1981 ,p 171

انظر :

التكوين المعماري للمسجد: (المخطط رقم 4)

*المدخل: (المخطط رقم 5)

لم يكن يحتوي المسجد لا صحن و لا لمدخل، بل وجد به ثلاثة أبواب ، واحدة في الجدار الشرقي وسط البلاطة الأولى و الباب الثانية تؤدي إلى المئذنة و الباب الثالثة مستحدثة فقد فتحت مكان النافذة الوسطى في الجدار الشمالي و بناءا لأعمال التهيئة التي عرفها المسجد أضيف له بابين خارجيين (الصورة رقم 1).

❖ الصحن:

ذكرنا من قبل أن المسجد كان يفتقر لصحن إلا انه استحدث له صحنًا جد بسيط ، كما جعلت به ميضأة في الناحية الغربية للصحن و كما فتحت أيضا غرفة صغيرة من الناحية الجنوبية الشرقية، خصصت لتعليم القرآن .

❖ المصلى: (الصورة رقم 2)

يحتل المسجد مساحة 56.7 م^2 و مقاساته (9م \times 6.3م) سمك الحائط فيه يساوي مترا ، تنقسم قاعة الصلاة إلى ثلاثة (3) بلاطات عمودية ، البلاطة الوسطى تبلغ 3م ، أما البلاطات الجانبية انظر (الصورة رقم 3) فتبلغ 2.7م ، تغطيها سقوف مسنمة من الخشب مجردة من أي زخرفة، عبارة عن لوحات خشبية مسطحة ، مثبتة بعوارض خشبية (الصورة رقم 4)، (الشكل رقم 1) ذات عقود نصف دائرية بسيطة تتكئ على دعامتين . هنا نلاحظ الرجوع إلى بساطة العقود التي عرفت قبل الفترة المرابطية ، في نفس الوقت اختفت العقود المفصصة المميزة للفترة المرابطية¹

بالنسبة للدعامات فهي مربعة حيث يبلغ طولها 80سم و عرضها 70سم ، و يبلغ طول العمود الوحيد الموجود في بيت صلاة مسجد أولاد الإمام 45سم ، و نجده في الزاوية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة .

1-Bourouiba (R) : L'art religieux musulman , p 176.

❖ المحراب: (الصورة رقم 5)، (المخطط رقم 6).

جعل المحراب كغيره في واجهة القبلة من الرواق الأوسط ، عرض الفتحة يبلغ 1.18م و عمقه 1.70 و هو يحتوي على ثلاث نوافذ ذات أقواس نصف دائري، و له إطار فيه بقايا تراكيب جبسية خفيفة ، جامعة بين الدقة و الفخامة شبيهة ، بما شوهد في زخرفة إطار محراب سيدي أبي الحسن (الصورة رقم 6) (الشكل رقم 2).

أما قبة المحراب ، فهي مضلعة ، و مزخرفة بالتماثيل المعلقة المدلاة في جوانبها ، و ينتهي المحراب بقبة صغيرة مؤلفة من 16 تخريما ، وجدت كتابة كوفية تحمل البسملة و النهاية فيها غير واضحة، و لكن هذه القبة ذات ميزة خاصة و هي أن العمودين الذين يحملانها تجمع بين قنطرتان وضعت إحداهما فوق الأخرى، فالقنطرة الأولى فإنها محشاة بتقاطيع شبيهة بالتقاطيع التي تشاهد في محراب سيدي أبي الحسن و أما القنطرة الثانية فإنها محشاة بنقوش بشكل السعف كما هو الحال في محراب جامع سيدي أبي مدين.

* المئذنة: (الصورة رقم 7).

إن مئذنة مسجد أولاد الإمام ماهي إلا مثال رائع للرشاقة و الجمال و هي تحتل الزاوية الشمالية الشرقية ، يبلغ ارتفاعها (12.25م) ، وهي تأخذ شكل أبراج مربعة تتكون من بدن و تنتهي في أعلاها بنتوء بارز يفصل الشرفة عن -التي تحمل إفريز من العقود الصماء- عن بقية البدن الذي تتوجه شرفات مسننة و يقتصر عددها على أربعة شرفات ركنية فقط .

أما تخطيطها الداخلي فهي تتكون من نواة مركزية مربعة يلتف حولها سلم من 44 درج ، عرضها 0.55م و عددها أربعة في كل دورة، يبلغ ارتفاع البرج الرئيسي لها 9.65م و غرفة المؤذن يبلغ ارتفاعها 3.45م. بنيت بواسطة الحجر ذو اللون الوردي المحمر، و هي خالية من المعينات الهندسية ، فتزينها من الواجهات الشمالية و الجنوبية و الشرقية لوحين مستطيلتين فوق بعضهما البعض و طولهما أكبر من عرضهما . و لوحة ماثلة على الواجهة الغربية تقابل اللوحات العلوية للواجهات الأخرى . فاللوحة السفلية ذات إطار من الحجر يضم قوسا كبيرا ذو ثلاثة عشر فص دائري على الواجهة الشمالية و قوس ذو فصوص دائرية و منكسرة متناوبة على الواجهتين الجنوبية و الشرقية و يكسو كوشات هذه العقود خزف قيراطي ذو اللونين الأخضر و الأبيض .

أما اللوحة الثانية و التي تعلق اللوحات السابقة ، فتضم على كل واجهة قوسين مفصصين ، لكل منهما خمسة فصوص دائرية و يقومان على عمود مشترك . و يتوسط كل عقد فتحة مربعة صغيرة ، و كوشته مكسوة بالخزف . و يحيط بكل لوحة إطار أول من الآخر ثم إطار ثاني من الخزف، و تنتهي المئذنة بنتوء بارز مطعم بالخزف ثم شرفة المئذنة و هي ملساء و تتوجها أربعة شرفات ركنية.(الصورة رقم 8).

وفي غياب الشواهد الأثرية ، يصعب علينا التعرف على دور المدرسة الفكري و القيام بدورها في المجتمع في التعليم و التأليف ، لقد استمرت مدرسة أولاد الإمام أداء رسالتها حتى القرن العاشر الهجري و عين فيها السلطان للتدريس فطاحل العلماء مثل ما سبق و أن ذكرنا أولهما أبناء الإمام ، اللذان كانت لهما شهرة في أقطار المغرب و لقد تركا تأليف حدث بها المؤرخون ، و من تأليف أبي زيد شرحه علي ابن حاجب الفرعي و اخذ عنهما جماعة من كبار الأئمة كالشريف التلمساني و المقرئ ، و الخطيب ابن مرزوق و قال ابن العباس الونشريسي في حقهما "و إما بنو الإمام فاعلاهم طبقة الشيخان الراسخان الشاخوان العالمان المفتيان الشقيقان الفقيه العلامة آخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الإنصاف شرقا و غربا أبو زيد و العلامة النظار آخر أهل النظر و جامع أشتات المعارف أبو موسى ابنا الإمام".¹

كما تولى التدريس بهذه المدرسة عدد كبير من العلماء الذين داع صيتهم نذكر منهم : محمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أبي الفضل التلمساني ، الذي بدوره تخرج عليه العديد من كبار علماء ذلك العصر من أمثال ابن مرزوق الكفيف و عبد الجليل التنسي من تأليفه التاريخية "نظم الدر و العقيان في دولة آل زيان".²

و إذا أخذنا التنسي كمقياس لمستوى علماء ذلك العصر أي خلال القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي ، نجد تعدد المواد المدرسة في المؤسسات العلمية و الدينية ، و كانت تشمل علوما متنوعة كالفقه و التفسير و الحديث و علوم العربية ، و علوم أخرى كالحساب و المنطق .
و من هنا نستنتج أن الجانب التعليمي كان كبير جدا و ذلك في سبيل نشر الثقافة العربية الإسلامية.

1) احمد بابا التنيكي : نيل الالتهاج بتطريز الديباج ، كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس، ط1، 1989، ص 248

2) د/صالح بن قرية: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص2007

2- المدرسة التاشفينية: (المخطط رقم 7).

تأسست هذه المدرسة من طرف السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول في الفترة ما بين (718هـ/1318م) و(737هـ/1337م) و تعد ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط.¹ ويذكرها التنسي بقوله²: ".....وحسن ذلك ببنائه بإزاء الجامع الأعظم". لذلك فمن قول التنسي نستنتج أن التاشفينية تقع بإزاء المسجد الجامع جنوبا ، فهي توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول خلال النصف الثاني من القرن الهجري. و تبين من أن اختيار مكان التاشفينية لم يكن صدفة بل كان لاعتبارات أخرى و ذلك في رغبة مؤسسها للاستفادة من المجال الحيوي الذي بنيت فيه حتى تستطيع المدرسة أداء رسالتها التعليمية بوجودها في فضاء يضم أقدم المباني (القصر-الإدارة.....)³ ليس لدينا تفاصيل دقيقة عن ظروف تأسيس المدرسة، إلا إشارات من بعض المصادر، نذكر كتاب (نفح الطيب) بقوله: "رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني، و هي من بدائع الدنيا هذه الأبيات التي أوردها المقرئ⁴ :

وبديع اتقاني و حسن بنائي	انظر بعينك مهجتي و سنائي
من نشأتي بل من تدفق مائي	و بديع شكلي و اعتبر فيما ترى
صاف كذوب الفضة البيضاء	جسم لطيف ذائب سيلانه
فغدت كمثل الروض غب سماء	قد حف بي أزهار وشي نمت

1) المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح د/إحسان عباس ج5، دار صادر بيروت 1388هـ/1968م ص223-224.

2) أبو عبد الله محمد التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمود بوعباد ، الجزائر 1985 ص 141.

3) د/صالح بن قرينة: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط الوطنية ، ص144، 145.

4) المقرئ: نفح الطيب، ج6، ص 47.

و تعد المدرسة التاشفينية من أفخم المدارس في تلمسان و ذلك حسب ما ذكره المؤرخون ، و ظلت قائمة حتى بعد الاحتلال الفرنسي ، لكنها تعرضت للهدم و للتخريب سنة 1873 من قبل الإدارة الفرنسية. لكن قبل التدمير قام المهندس Duthoit مع الرسام Danjoy بالرفع المعماري والفني ، حيث رسمت لها بعض من فسيفسائها، و إحدى واجهاتها.¹

و يعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية ذو ميزة لا تشاركه فيه أية مؤسسة أخرى ،فهو فريد من نوعه حتى في المغرب الإسلامي، و إذا كان هناك من تخطيطات لبيوت الصلاة في المدارس المرينية في فاس قرية الشبه بتخطيط المدرسة التاشفينية فهي مدرسة أبي الحسن في سلا ،فان تنظيمها المعماري يختلف عن أي تنظيم لأي مدرسة أخرى مرينية..²

1) Duthoit : Rapport sur une mission scientifique en Algérie (, archives des missionsscientifiques1873, 3eme série), t1, p 325.

2) Golvin (L) :La madrasa médiévale ,edisud , 1995,p 2,3.

1- المخطط العام للمدرسة:

شيدت المدرسة على أساس محورين رئيسيين احدهما شمالي شرقي /جنوبي غربي، أما الثاني فهو شمالي غربي/جنوبي شرقي يخترق محراب المصلى، و يحتل مساحة (9.5x21م).¹

❖ -المدخل:(الشكل رقم 3).

يدخل إلى صحنها من بابين كبيرين ضلعيها الجنوبي الغربي و الشمالي الشرقي بطريقة متقابلة متناظرة و محورية مع بعضها و هذه ميزة لا تتوفر في باقي المدارس المرينية، و قد وضع لها الرسام Danjoy تصميم لإعادة ترميمهاو ذلك في سنة 1873.

❖ الصحن:

أما الصحن فهو مستطيل تحيط به 7 أروقة من جهاته الأربع ، هذا ما يجعلنا نظن انه من الممكن انه وجد طابق أعلى لكن ليس لدينا أي معلومات في هذا السياق ، من الجهتين نجد قاعتين الطول اكبر من العرض و ضيقة يمكن أنهما استعملت بيوت إقامة الطلبة.

❖ بيت الصلاة:

يشغل بيت الصلاة المدرسة التاشفينية الجهة الجنوبية الشرقية حيث نجدها تتألف من ثلاثة أقسام ،و يعتبر الأوسط أكثر اتساعا وجاء مربع الشكل، تتراجع زواياه الأربعة و تنقلص لتحول في نهاية المربع إلى مثنى حيث يجعلنا نضع افتراض و جود قبة و ذلك حسب التخطيط الذي وضعه المهندس Duthoit و قد غطيت القبة وفقا للتقاليد المغربية بهيكل بنائي جاء على شكل هرمي حيث تغطيه من الخارج قراميد لامعة و ملساء . تتميز بيت الصلاة المدرسة التاشفينية بعرض اكبر من العمق بمرتين و نصف و مقسم إلى ثلاثة أجزاء بعقدين عموديين على القبلة ، و يتصدر الجزء المركزي المربع تجويفة المحراب على شكل مضلع بارز إلى الخارج يغطيه سقف خارجي منحدر هرمي قاعدته ثمانية تعتمد على دعائم ثلاثية الوجه ، بينما اتخذت القاعتان الجانبيتان شكلا مستطيلا يغطي كل منهما سقف منحدر قاعدته ثمانية غير منتظمة ،الشمالية الشرقية منها نسبة طولها 3/2 و الجنوبية الغربية يرجح انه كان يشغلها ضريح و كانت ترتفع مئذنته في زاوية المبنى .

انظر : Koumasahmed etNafaCherazade : L'Algérie et son patrimoine, éditions du patrimoine, Paris2003.p 92.

بنيت ميضأة المدرسة التاشفينية بالجهة الجنوبية الغربية و جاءت ملتصقة ببيت الصلاة ،وتتألف من هيكل بنائي ذو شكل مستطيل يتوسطه فناء يأخذ نفس الشكل ،يحيط به رواق يحتوي على بيوت الخلاء.

ويعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية فريدا من نوعه، بحيث أن التكوين المعماري لبيت الصلاة الذي يتكون من أقسام ثلاثة تتصل ببعضها البعض بواسطة عقود كبيرة ، تتشابه بالعمارة الشرقية و خصوصا المدارس الشامية ومن بينها مدرسة معرة النعمان 595هـ /1199م، و السلطانية 620-1224م.¹

1-د/عبد العزيز لعرج: النظام المعماري للمدارس المغرب، المقال السابق، ص 97-112-113.

2- الناحية الزخرفية :

تميزت زخرفة المدرسة التاشفينية حسب مارسى بدقتها فقد تنوع بها التليس الخزفي الذي كان يؤطر حنية المدخل الرئيسي و يحتوي الإطار الأول على زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية ذات 12 راس كما كسيت بنية العقد بفسيفساء خزفية تتألف من أطباق نجمية مختلفة الأحجام فمنها ذات 16 رأس و أخرى اصغر منها ذات 8 رؤوس، و يحيط بالعقد شريط ذو شكل انسيابي ، كسيت الفراغات ما بين الفصوص بزخارف نباتية متشابكة تتفرع منها مراوح نخيلية . (الشكل رقم 4).

كما وجدت أيضا خاصية فريدة من نوعها ، حيث زخرفت أرضية الصحن و القاعات بزخرفة نباتية و هندسية في أن واحد ، أما عتبة القاعة المقابلة لبيت الصلاة و كذا المساحة التي تصلنا إلى الصحن بزخرفة نباتية عبارة عن أشكال نجمية متصلة فيما بينها بمجموعة من الحلقات ذات اللون الأبيض .

إن أرضية بيت الصلاة من المرجح أنها فقدت زخرفتها قبل أن تهدم المدرسة ، و لم يتبقى منه إلا زخرفة ذات عناصر نباتية متشابكة ، وجدت على عتبة المدخل (بيت الصلاة)، حيث يرى مارسى انه من الممكن أن تكون العتبة الوحيدة التي تميزت بهذه الزخرفة.¹

و لقد تقدمت المصلى فسقية ذات الشكل صديفي مصنوعة من المرمر، من خلالها كانت تتدفق المياه وقد تأطرت بزخرفة ضفيريّة نباتية رقيقة ، حيث لم يكن لها نظيرا في المدارس المغربية ، إلا ما وجد في زاوية شلا قرب مدينة الرباط.² (الشكل رقم 5).

لم يتبقى لنا من هذه المدرسة سوى لوحات من الفسيفساء بعضها محفوظ في متحف تلمسان و بعضها الآخر في المتحف الوطني للآثار القديمة، (الصورة رقم 9)، تتألف هذه اللوحات من قطع خزفية صغيرة تتخذ أشكالا مختلفة، تشكل بالقالب ثم تحرق حرقا أوليا بعد إتمام عملية التحفيف ، بعد ذلك تطلى بأكاسيد تلوينية

1) Marçais(G) : Remarques sur les medersas funéraires en berberie, p 276.

انظر :

2) جورج مارسى: مدن الفن الشهيرة ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل 2004 ص 55.

و تحرق للمرة الثانية ، و في الأخير تجمع هذه القطع وفقا لتخطيط بارع و يصب عليها قدر من الملاط لدعمها و تثبيتها¹.

هذه اللوحة قوام زخارفها تتمثل في مشبكات و أطباق نجمية وزخرفة نباتية عبارة عن أوراق نخيلية ، استعمل فيها اللون الأبيض و الأزرق و الأسود و الأخضر و البني.

من الصعب علينا الإحاطة بتفاصيل تخص هذه المؤسسة فيما يتعلق بإدارتها ، أو نظام تسيرها تربويا و عن طريقة التدريس بها و عن العلماء الذين درسوا بها و ذلك لاندثارها و اختفاء هياكل المدرسة ما عدا مخططها أو التصميم الهندسي و بعض رسومها الهندسية للبلاطات الخزفية التي كانت تكسو واجهات جدرانها ، و التي قام برسمها كما ذكرنا من قبل احد المهندسين الفرنسيين قبل هدمها . بما أن السلطان أبو تاشفين كان يتمتع بمآثر ،الذي جعل التاشفينية تقوم برسالتها ، حيث كان ينزل منازل تليق بالعلماء و الأدباء و يغدق عليهم بالأموال .

فوصفه يحيى ابن خلدون قائلا: "لم يكن في معاصريه احد مثله علما بمذهب مالك و حفظا له و لأقوال أصحابه و عرفانا بنوازل الأحكام و صوابا في الفتية و قد نسب إليه المازوني في كتابه (الدرر الكامنة) مجموعة من النوازل".

ومن بين العلماء الذين استقبلهم و أكرم وفادتهم، أبو العباس بن عمر البجائي الذي قدم من بجاية "فانزله منزل الكرام ، و سأله عن مقدمه فاخبره بأنه جاء تاجرا ، فعرف به أبو زيد بن الإمام أمير المسلمين فرفع عنه تكلفة مغرمه ، و مغرم من جاء معه و كان مائتي دينار ثم أعطاه زيادة على ذلك مائتي دينار"².

و مهما يكن الأمر فان التاشفينية ساهمت في تقدم الحركة الثقافية بتلمسان بدليل إيوائها للطلبة و احتضانها لحلقات العلم و ذلك لوجود صحن يحف به من ثلاث جهات —غير جهة المصلى —حجرات معدة لسكن الطلبة، فكان تصميمها مزدوج المعالم فهو عبارة عن مسجد مدرسي ، كما تتوفر المدرسة على منارة للأذان ، وهذا التنوع في التصميم جعل التاشفينية لها صفات منفردة بها عن باقي المؤسسات الأخرى.

1- انظر: Bourouiba (R) :L'art religieux musulman p, 199.

2- انظر:

2- يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص 75

3-المدرسة اليعقوبية:

بنيت المدرسة في حدود (763-765هـ/1361-1363م) على يد السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-1388م) على ضريح والده يعقوب و عميه أبي سعيد عثمان و أبي ثابت، الذين تواليا حكم مدينة تلمسان في الفترة السابقة.

تقع اليعقوبية بالقرب من المقبرة الزيانية التي تضم ضريح أبي يعقوب والد السلطان أبو حمو موسى الزياتي. فاختيار موقع اليعقوبية لم يكن وليد صدفة بل خضع لاعتبارات أخرى و هي أن يضم هذا الفضاء أقدم المباني التي اندثر معظمها.¹

كان السلطان أبي حمو موسى الثاني ولوع بتشيد المباني من مساجد و مدارس حيث تم تأسيس هذه المدرسة مباشرة بعد دفن والده و قد دشنت في صفر سنة 765هـ/1354م.² ليست لدينا معطيات حول ظروف تأسيسها ، لكن الزياتيون كانوا يحتفلون عند تشيد المباني الكبرى ، فكان ينتقل السلطان رفقة العلماء و أعيان الدولة لتدشين المشروع و ذلك للأهمية التي يولونها لهذه الأعمال .

كما أكثر عليها الأوقاف و رتب فيها الجرايات و لقد كان الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني واحد من أكابر مدرسيها الذي قدم من فاس. و لقد اشتهرت باليعقوبية نسبة إلى والد السلطان أبي حمو موسى -أبي يعقوب- بعدما اكتملت عمارتها دعيت باليعقوبية ، كما أطلق عليها اسم "سيدي إبراهيم المصمودي" الذي توفي و دفن بها سنة 805هـ-1402م .

و ظلت المدرسة تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ومن سوء الحظ أن هذه المدرسة قد اندثرت كغيرها من المدارس.³

1) د/صالح بن قرية: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، ص 150.

2) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد ج2 ص 136.

3) د/صالح بن قرية : المرجع نفسه ص 152.

تضم اليعقوبية لائحة كبيرة من كبار العلماء الذين عرفوا داخل و خارج مدينة تلمسان بتدريس الفقه و العلوم الدينية إضافة إلى قربها من المسجد الجامع ، هذا ما جعل الطلبة ينتقلون بين المؤسسات بكل سهولة إلى جانب تنافس العلماء على التدريس بها .

فقد وصفها صاحب (زهرة البستان): "فأقيمت مدرسة مليحة البناء و واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات ، سمكها بالا صبغة مرقوم ، وبساط أرضها بالزليج مرسوم غرس بإزائها بساتين و.... صنع فيها صهريجا مستطيلا و على طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسيلا فيالها من بنية ما أبهجها....."

لقد ساهمت اليعقوبية في تنشيط الحركة الثقافية في تلمسان ، لإيوائها الطلبة ، و احتضانها للحلقات العلمية ، التي كانت لا تتم بمعزل عن جامع تلمسان الذي كان بمثابة جامعة مثل القرويين بفاس و الزيتونة بتونس.

لم يمنع هذا التداخل بين المدارس و المساجد في تكوين و أعداد علماء و قضاة و خطباء الذين نشروا اللغة العربية و ساهموا في الحياة الفكرية ، إلى جانب تثبيت المذهب المالكي بالمغرب الأوسط . ومن العلماء الذين درسوا الفقه احمد بن يحيى بن محمد عبد الواحد بن علي الونشريسي الذي تخرج عليه أمثال الفقيه ابن عباد ابن مليح اللمطي ، و الشيخ ابن زكريا السوسي

لكن بفعل التحولات التي عرفت البلاد ، أصابت المدرسة نوعا من الفتور ، وجعلها عرضة للاندثار.¹

1) د/صالح بن قرية : المرجع نفسه ص 15

خلاصة الفصل:

تعتبر المدارس الزيانية، من النماذج التي تنتمي للطراز المحلي تتشابه في تركيبها المعماري بمدارس مدينة فاس حيث أن تكوينها المعماري قائم على نواة مركزية و هي الفناء و يحيط بها رواق تفتح عليه حجرات الطلبة ، و بالجهة الجنوبية يقوم المصلى و هو قاعة الدرس نفسه .

انشأت معظم هذه المدارس في مواقع من المدينة تتميز بكثافة معمارية كما هو الشأن لمدرسة أولادالإمام و المدرسة التاشفينية ، باستثناء مدرسة سيدي أبي مدين ، فقد انشأت في موضع لم يكن مزدحما بالمنشآت المعمارية.

إن تعرض تلمسان و الدولة الزيانية إلى هجمات جارتها الحفصية في الشرق و المرينية في الغرب الذي كان ينتهي بالاستيلاء عليها وحصار المدينة كان يتبعها تهديم البنايات ،هذا ما جعل الحكام ينشغلون بتأمين وجودهم و هذا ما أدى إلى قلة المباني و المؤسسات و المرافق العامة التي شيدت من طرف بني عبد الواد ،ورغم ولوع الحكام الزيانيين بالعلم وبناء المدارس التي بلغ عددها ثلاثة كلها في تلمسان التي كانت عاصمتهم آنذاك ، إلا أنها اندثرت جميعها .

الفصل الثاني

المطارس المرينية (723 - 759/1322 - 1357هـ)

- تمهيد

1 -مدرسة سيدي بومدين بالعباد.

2 -مدرسة سيدي الحلوي

-خلاصة الفصل.

*تمهيد:

ينتسب بنو مرين إلى مرين بنو ورتاجن بن ماحوخ الزناتي ، كانوا يسكنون في زاب افريقية¹. و قد شاركوا في الغزوات إلى جانب الجيوش الموحدية .

لكن بعد انهزام الموحدين في معركة العقاب بالأندلس عام 609هـ/1212م ، و ضعفت الدولة ، هذا ما زاد من طموح المرينيين في تكوين دولة على ارض المغرب الأقصى ، أخيرا استطاع عثمان بن عبد الحق المريني أن يفرض وجوده على مناطق عديدة مثل فاس و تازا.

و بعد نصف قرن من الحروب، استطاع المرينيون بقيادة أبي يوسف يعقوب الاستيلاء على عاصمة الموحدين "مراكش" و هذا عام 668هـ/1269م.²

و اخذ نفوذ بني مرين ينمو حتى ملكوا بلاد المغرب و الأندلس، و كان استقرارهم بمدينة تلمسان.

حط السلطان المريني رحاله غرب تلمسان ، وأحكم الحصار عليها ، حيث أحاطها بأسوار ،غير أن هذا الحصار أضاق بأهل البلاد و خاصة عند غلاء الأسعار و لقد أشار يحيى ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "بلغ فيه ثمن صاع قمحهم إلى دينارين و ربع الدينار، و صاع شعيرهم إلى نصف ذلك ومع هذا فهم صبروا بقضاء الله ورضاه"³.

وحسب ما يصف المؤرخون كان السور يشبه هالة القمر ، فهو جدار عال يحيط به خندق عميق تتخلله ممرات ، تستخدم أثناء الهجمات.⁴

(1) يقصد بها المناطق الواقعة جنوبي المغرب الأقصى ، انظر القيرواني (أبي عبيد الله محمد) في المؤنس في أخبار افريقية و تونس ، المكتبة العتيقة ، تونس 1967، ط3، ص145.

(2) ابن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخير ، ط بولاق..... جزء 7، ص 342.

(3) ابن خلدون (يحيى): بغية الرواد، ج1، ص 210.

(4) بورويبة (رشيد) ، دهينة (عطاء الله): الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني م.و..ك الجزائر 1984 ص373

بينما كان الخير وافرا في معسكر المرينيين ، كانت مدينة تلمسان في هذه الأثناء تعاني من الجوع ، و عند حلول فصل الشتاء بنا أبو يعقوب قصرا و مسجدا و مبان و عمارات أحيطت بالسور سميت بالمنصورة ، تيمنا بالنصر، و سميت كذلك تلمسان الجديدة.¹

أما بالنسبة لتحديد سنة تأسيس مدينة المنصورة فقد اختلف الباحثون في ذلك ، فمنهم من يذكر سنة 1229هـ/698م، و راح البعض الآخر مثل المؤرخ السلاوي إلى ذكر سنة 1303هـ/702م كتاريخ التأسيس.²

لكن هذه السنة أي (1303هـ/702م) يرجعها بعض المؤرخين إلى نهاية أعمال البناء، علما أن السلطان أبو يعقوب أكد على تعمير مدينة تلمسان الجديدة بالمنازل و الدور، و جلب المياه عليها عبر السواقي، وإقامة الأسواق، كما بنا مارستانا لمداواة المرضى و جرحى الحروب.³

لم تقتصر المباني المرينية على الجانب الدفاعي فقط ، بل اهتم المرينيون ببناء المدارس ، حيث انشأوها بمفهوم جديد حيث لم تكن في المغرب قبل العصر المريني ، مدارس للتعليم العالي المتخصص ، و سكنى للطلبة ، حيث كانت تلقى الدروس بالمساجد و بصفة خاصة بمسجد القرويين.

لم يقف سلاطين بني مرين عند الاهتمام ببناء المدارس في عاصمتهم فاس فقط ، و إنما انشأوا المدارس في سائر بلاد المغرب (الأقصى و المغرب الأوسط).⁴

1) بورويبة(رشيد)،دهينة (عطاء الله):نفسه ص 373

2) السلاوي (أبو العباس احمد):الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى ، ج 3 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1955 ص 79.

3) ابن خلدون (عبد الرحمن): ج 7، ص 452

4) د/محمد عيسى الحريري:تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1405هـ/1985م، ص 324، 325.

1-مدرسة سيدي بومدين بالعباد: (المخطط رقم8)

تقع المدرسة ضمن مركب عمراني في قرية العباد المتواضعة انظر (المخطط رقم9)، و هي إحدى المباني التي شيدها السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني و ذلك سنة 747هـ/1347م لتكون أول مركز علمي و ثقافي بمدينة تلمسان، إلى جانب المدارس التي كانت متواجدة آنذاك. و لقد أشار ابن مرزوق إلى هذا الحديث قائلاً ".....و بالعباد ظاهر تلمسان و حذاء الجامع الذي قدمت ذكره، و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان"¹ أنشأت هذه المدرسة في ظروف سياسية متقلبة امتازت باقتحام المرينيين لتلمسان عاصمة بني عبد الواد حيث قتل سلطانهم أبو تاشفين 718هـ/737م، فأصبحت تلمسان منطقة تابعة لمركز الحكم المريني بفاس² كما أطلق على المدرسة أيضا اسم " المدرسة الخلدونية" و لقد جاءت هذه التسمية من تعلم عبد الرحمن ابن خلدون بها³.

تقع المدرسة إلى الغرب من المسجد الجامع، يفصلها عنه رواق معقود، و قد ذكرت المدرسة و اسم مؤسسها و الأوقاف المحبسة عليها على لوحة رخامية مثبتة في بدن الدعامة الأولى على يسار بلاطة المحراب العمودية بالجامع المجاور لها و نقرا عليها: "الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين، أمر ببناء هذا الجامع المبارك و المدرسة المتصلة بغربيه مولانا السلطان الاعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن....." ⁴

(1) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص 406.

(2) محمد ابن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 125.

(3) Marcais (G) et (W)+ : Les monuments arabes de Tlemcen, fontemoiny, paris 1905, p 274.

(4) بورويبة رشيد: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شيوخ، الجزائر 1979، ص 83.

أما بالنسبة للكتابة التأسيسية فقد كتبت في شريط أعلى المدخل الرئيسية: "الحمد لله وحده
أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله ابن مولانا أبي سعيد عثمان ابن مولانا أبي يوسف
يعقوب ابن عبد الحق أيداه الله و نصره عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة نفعهم الله به"¹
أما تاريخ المدرسة يوجد ضمن مجموعة أبيات شعرية تزين رقبة قبة قاعة الصلاة بالمدرسة و يتألف من تسعة
أبيات:

- | | |
|-----------------------------|----------------------------|
| الحمد لله رب العالمين | |
| 1-الإسلام أمير المسلمين | بناني كي قيم لدي دينا |
| 2-تفوق النظم بالنوم الثمينا | أبو الحسن الذي فيه المزايا |
| 3-بما أجرى به الأعمال دينا | إمام لا يعبر عنه وصف |
| 4-أقر إلى الأنام بها عيونا | سليل أبي سعيد ذي المعالي |
| 5-فاعلاه و أعطاه يقينا | و قد سماه خالقه عليا |
| 6-و إيماننا يكون له معينا | أبان الصالحات منه دينا |
| 7-خلون من السنين و أربعينا | الشهر الربيع الثاني لسبع |
| 8-محوله مقاصده فنونا | إلى سبع ميين فدام سعد |
| 9-على مرضاته دائما معينا | و كان له الإله على الاتصال |

من خلال هذه الأبيات فالمدرسة بنيت بتاريخ 7 من شهر ربيع الثاني عام 749هـ/1347م، و تعبر عن تدين
مؤسسها ، و تمسكه بالدين الإسلامي و سعيه في نشر الثقافة الإسلامية.

انظر (P.P,108-109 .N° 18) revue africaine, Les inscriptions arabes de Tlemcen (ch.) : Brossard 1)

1-المخطط العام للمدرسة:

صممت المدرسة فوق مسطح مرتفع، و يوصل إليها عبر درج صاعد من 15 درجة، نلج من خلالها إلى ساحة فسيحة تتقدم المدرسة.

تأخذ المدرسة شكلا مستطيلا ، يتوسطها صحن مكشوف ، تحف به بائكة من العقود من جهاته الأربع، 2.60×3.20 م و يتوسطه حوض مستطيل مقاساته تفتح على مجنبي الصحن اثني عشر (12) غرفة صغيرة مخصصة لإقامة الطلبة، بمعدل 6 حجرات في كل جهة، و يعلوها نفس العدد في الطابق العلوي ، وهي مستطيلة الشكل (0.2×2 م). تفتح على الرواق بالصحن بأبواب ضيقة معقودة بعقد متجاوز ، كما يعلو أبواب الحجرات نافذة صغيرة فتحت للتهوية و الإضاءة ، وتحتوي كل حجرة في داخلها على دخلة حائطية مستطيلة لوضع الكتب ، و ما يجلب الانتباه أن هذه الحجرات وزعت بطريقة متماثلة و متناظرة.

2-مكوناتها المعمارية:

❖ المدخل: (الصورة رقم 11)

يعد المدخل من احد النماذج الرائعة للمداخل التذكارية التي بنيت خلال الفترتين المرينية و الزيرية بتلمسان ، فهو يظهر بارزا عن الجدار الخارجي اتساعه 2.47م، مشكل من عقد متجاوز ، يحيطه عقد ثاني مفصص ب 21 فصا مشكلة من الآجر انظر (الشكل رقم 6)، و شكلت الفراغات بين الآجر بقطع الزليج ذات اللون الأخضر ، و في نهايتي العقد نجد العنصر الزخرفي المسمى ب "العنصر الشعباني". (الصورة رقم 12).

يعلو القوس إطار مربع به زخارف هندسية مشكلة بالفسيفساء الخزفية ، أما الأركان من الجانبين تتمحور زخارفها من طبق نجمي مركب يلي هذا الإطار ، إطار آخر يتألف من زخارف قوامها عناصر على هيئة معينات إكليلية مشكلة من الخزف . (الصورة رقم 13).

يعلو المدخل طنف بارز مغطى بقرميد اخضر اللون مزجج ، يصل المدخل بالصحن عن طريق سقيفة صغيرة مقاساتها (2.50×1.35) تعتبر هذه السقيفة كهمة وصل بين الباب و الصحن.

❖ الصحن: (الصورة رقم 14).

مستطيل، عمقه أكثر من عرضه مساحته (14×16)، تكتنفه من جهاته الأربعة رواق بعرض 1.75 ، ترتكز العقود الحدودية المنكسرة على دعائم مستطيلة الشكل على الجانبين ارتفاعها 1.60 م ، و تختلف

المسافة الفاصلة بين الدعامة و الأخرى ، فعلى الجانبين تبلغ 1.40 م ،وعلى الطرفين 1.40م، أما الوسطى فتبلغ 2.60م.

يتوسط الصحن حوض مستطيل مساحته (3.20x2.60م)، يستمد مياهه من نافورة رخامية مستطيلة أمام بيت الصلاة و ذلك عبر ساقية حفرت على الأرضية طواها 1.60م. غطيت أرضية الصحن بقطع من الزليج متوسطة الحجم (سم10xسم10)مختلفة الألوان.

❖ غرفة إقامة الطلبة:(الصورة رقم15).

نجد بالرواقين الشرقي و الغربي مجموعة من الحجرات الصغيرة عددها 12 حجرة، أي 6 في كل جهة و يعلوها عددا مماثلا في الطابق العلوي.

اغلب الغرف على العموم مستطيلة الشكل مساحتها (2x2.80م) تفتح على الرواق بأبواب صغيرة معقودة بعقد منكسر متجاوز ارتفاعه 1.86م و عرضه 0.72م ، تعلوه نافذة صغيرة للإتارة و التهوية عرضها 0.73م انظر (الصورة رقم17). أما السقف فهو من الخشب جاءت على شكل صفوف متراسة انظر (الصورة رقم18).

جعل لكل غرفة على جانب المدخل فتحة حائطية لغرض وضع الكتب أو المصباح.

❖ المصلى:

نجده في مؤخرة الصحن في الجهة الجنوبية ،ويعد بمثابة مصلى و قاعة درس في آن واحد ، عرض المدخل 2.40م و يغلق بمصراعين.

أما القاعة فهي مربعة الشكل طول ضلعها 5.70م ، يتوسط جدارها الجنوبي محراب مجوف خماسي الأضلاع ، تعلوه قببية صغيرة عرضه 1.50م، و عمقه 2م ، تتشكل فتحته من قوس منكسر ، تؤطره فصوص تشمل على زخارف جصية ، يستند هذا الأخير على عمودين رخاميين.(الصورة رقم19).

تعلو فتحتي المدخل و المحراب 6 نوافذ جصية مخزومة بعناصر زخرفية هندسية دقيقة.

غطيت القاعة بكاملها بقبة خشبية كبيرة ،نقشت في أسفلها أبيات شعرية تمثل الكتابة التأسيسية للمدرسة .

أما بالنسبة للجدران القاعة فهي مكسوة بزخارف جصية متنوعة منها الكتابية و النباتية و الهندسية ، أما الجزء السفلي للجدران مغطى بطبقة من الفسيفساء الخزفية.

❖ الميضأة:

بنيت خارج المدرسة في الركن الشمالي الغربي، حيث تشكل تنوعاً بارزاً يقدر ب 5.50م، تتركب من 8 غرف صغيرة الحجم و مستطيلة، الركنية مقاساتها (1x1.60م)، بينما الأربع الأخرى مساحتها 1.40م كلها ذات مداخل صغيرة بعرض 0.50م، تعلوها فتحات للتهوية و الإنارة. أما الحوض الذي يتوسط هذه الغرف فهو مستطيل مساحته 1.50x2.10م يعلوه عقد حذوي متجاوز.

و استخدام الميضأة في المدارس يختلف من حيث الوظيفة عن ميضآت المساجد لان استخدامها يختص بالطلبة المقيمين بها و هذا يعود لقوانين المدرسة.

يكتنف المصلى من جهته الشرقية و الغربية جناحين يفتحان على الرواق، فالجهة الشرقية تتكون من أربعة حجرات يتقدمها فناء مكشوف يتصل بالرواق المشرف على صحن المدرسة بباب عرضه 1.34م، أما الفناء فمقاساته (3.85x3.20م).

أما بالنسبة للجهة الغربية فهي عبارة عن فراغ، به بقايا من حائط، يقسم هذا الفراغ إلى قسمين، في الجزء الجنوبي منه نجد به بعض القبور و شواهداها.

❖ الطابق العلوي:(الصورة رقم 16).

يوصل إليه عبر درج صاعد الذي يوجد على يسار مدخل المدرسة الرئيسي، هذا الطابق به رواق غير مسقف، تفتح عليه غرف متطابقة لحجرات الطابق الأرضي، و هي جد بسيطة حيث نجد أن أبوابها خالية من النوافذ التي تعلوها، و السقف جاء مسطوحاً.

3-الناحية الزخرفية:

أغلب الزخارف الموجودة في المدرسة، موجودة بالمصلى و المدخل التذكاري، لكنها متنوعة و غنية بعناصر و مواضيع زخرفية حيث تراوحت ما بين النباتية و الكتابية و الهندسية و شكلت على مواد عديدة كالحص، الخشب و الفسيفساء الخزفية.

❖ الزخارف النباتية:(الصورة رقم 20)

نفذت على الحص و نجدها تكسو جدران قاعة الدرس، أغلبها جددت و ما غلب على العنصر النباتي هي المراوح النخيلية فوجدت إما عبارة عن تشبيكات نباتية متداخلة، نجدها على سبيل المثال في إطار المحراب و في أعلى جدران القاعة، نجد هذه المراوح النخيلية وردت صماء، يمكن إرجاعه إلى العودة للتقاليد المرابطة الموحدية ووردت جاءت شديدة التموج و الالتواء أين يظهر التأثير الأندلسي.

كما وردت أيضا (المراوح النخيلية) مرفقة بالكتابات ، لتشكيل أرضية لهذه الأخيرة، أو تتفرع من نهايات الحروف .

و من بين الزخارف النباتية المحيطة بإطار المحراب أزهار ثلاثية الفصوص، ونجدها كذلك مشكلة بالفسيفساء الخزفية عند المدخل الرئيسي.

❖ الزخارف الكتابية: (الصورة رقم 21-22).

يحيط بالمحراب شريط كتابي يحمل كتابة نفذت بالخط النسخي ، عبارة عن آية قرآنية من سورة البينة على الشكل التالي:

الشريط الأول: و ما أمروا إلا أن يعبدوا الله.

الشريط الثاني: مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة.

الشريط الثالث : و يوتوا الزكاة و ذلك دين القيمة.¹

أما بالنسبة للخط الكوفي فنجده في عناصر من المعينات التي تغطي جدار القبلة تحتوي على اسم الجلالة «الله» , إلى جانب وجود إفريز كتابي يمتد أفقيا فوق الفسيفساء الخزفية التي تغطي الجزء السفلي من الجدار و هو عبارة عن دعاء يتمثل في عبارة "أنعمت يا رب فزد، فلك الحمد".

و يمتد أيضا أسفل القبة التي تغطي المصلى شريط كتابي نفذ بالخط النسخي المغربي الأندلسي يتضمن أبيات شعرية تذكر تاريخ التأسيس وقد سبق ذكرها .

❖ الزخارف الهندسية:

بالنسبة للزخارف الحصية تتمثل في شبكة المعينات التي تغطي جدار القبلة ، و نجد في القسم العلوي من القاعة إفريز من النجمات به 16 رأسا . و زخرفت القبة كذلك بطبق نجمي كبير بطريقة الحفر.(الصورة 23).

أما التي جاءت مشكلة بالفسيفساء الخزفية فنجدها في بيت الصلاة تغطي أسفل الجدران ، وهي عبارة عن قطع صغيرة من المربعات و المعينات وقد جمعت بشكل هندسي منتظم و اعتمد فيها على ألوان عديدة و هي: الأبيض، الأسود، البني المائل للحمرة ، الأصفر و الأخضر.(الصورة رقم 24).

كما وجدت أيضا زخرفة بالفسيفساء الخزفية تغطي واجهة المدخل الرئيسي، بحيث يوجد إطارين مستطيلين مشكلين من قطع الآجر ما بينهما لوحات مطلية بالبني الداكن و الأخضر، شكلت لدينا إفريز من المعينات (الشكل 7) و(الصورة رقم 13) بينما ركني الإطار الداخلي و محيط القوس المفصص فيحتويان على نجمات متعددة الرؤوس و الألوان.

من هنا نجد أن الفن المغربي ابتكر هنا خاصية الزخرفة بالفسيفساء الخزفية ذات الأشكال الهندسية المتنوعة ، حيث تعد مدرسة سيدي بومدين نموذجا في تنوع زخارفها و المواد المستعملة فيها.

2-مدرسة سيدي الحلوي:

هي المدرسة الثانية التي تأسست في مدينة تلمسان الزيانية ، أسسها أبو عنان ابن أبي الحسن المريني سنة 1353هـ/754م . تقع المدرسة بجوار ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي¹ . اختار السلطان المريني مكانا منحدرًا عبارة عن حي سكني ، تشرف عليه أسوار تلمسان الشمالية الشرقية لانجاز المشروع المعماري الكبير الذي يتألف من المسجد و المدرسة و الزاوية و الضريح² . (الصورة رقم 25).

و أجملها هو المسجد الجامع الذي تتصل به الزاوية و ظلت المدرسة و الزاوية قائمتان حتى أوائل القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي³ . (الصورة رقم 26).

و لاشك أن بناء سلاطين بني مرين لهذه المجموعات المعمارية كان يهدف من خلالها إلى خدمة أغراض سياسية بالتأثير على مختلف شرائح الاجتماعية و الظهور أمامهم بمظهر الدين و العلم و خدمة مصالح الجماعة و ذلك بإرضائهم جميعًا لمختلف الشرائح : المساجد و الأضرحة ، و للعلم و العلماء : المدارس و للمتصوفة و الصلحاء و الزهاد : الزوايا⁴

لكن هذه المنشأة المعمارية اندثرت معالمها، و لم يبق منها إلا الجامع و الميضاة، الذي لازال يحتفظ بزخارفه الرائعة.

و لقد عبر ابن مرزوق عن جمال مدارس أبي الحسن المريني قائلاً: "و كلها، قد اشتمل على المباني العجيبة و الصنائع الغريبة و المصانع العديدة و الاحتفال في البناء و النقش و الجص و الفرش على اختلاف أنواعه من الزليج البديع و الرخام المجزع و الخشب المحكم النقش و المياه النيرة"⁵ أما فيما يخص هندستها فلقد أعطى مارسى وصفا تشترك فيه المدارس المرينية بقوله: "إن أوصاف المدرسة المغربية شبيهة بأوصاف الرباطات ، فأول ما يواجه الداخل للمدرسة هو صحنها الذي يختلف من حيث السعة و الضيق حسب مساحة المدرسة و يتصدر الصحن في اتجاه القبلة ، التي هي بمثابة مكان للصلاة و قاعة لإلقاء الدروس.

(1) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج 1، ص 127-128.

(2) Marcais (G)et(W) : Les monuments arabes....p 258

انظر:

(3) ابن مریم : البستانص 33.

(4) عبد العزيز لعرج:المبانيالمرينية في اماره تلمسان الزيانية ، ص 236.

(5) ابن مرزوق: المسند الصحيح ص 303.

و أمام القبة يتوسط الصحن بيلة رخامية للوضوء بمائها ، وفي كل مدرسة يحف بالصحن من ثلاث جهات-غير جهة المصلى-حجرات معدة لسكنى الطلبة تتكون من طابقين : سفلي و علوي".¹

ويبدو من إشارة ابن مريم أن المدرسة و الزاوية ظلتا قائمتين حتى أوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر ميلادي ، حيث أورد في ترجمته للوالي (سيدي احمد بن الحسن) الذي "بقي يحي الليل سنين كثيرة في جامع زاوية سيدي الحلوي رضي اله عنه ، على من سمعت من كثير ممن أثق به ممن كان ساكنا بالزاوية و قال لي أخي سيدي علي و قد كان ساكناابتداء أمره مدرسة الزاوية"²

لم تكن فكرة تأسيس المدارس الجامعة في المغرب الإسلامي، على يد سلاطين بني مرين، فكرة جديدة بل سبقهم إلى ذلك الموحدين و سلاطين بني حفص في تونس ، لذلك استهدف المرينيون من بناء المدارس هو محاربة المذهب الموحي و إحياء المذهب المالكي ، إلى جانب نزوح عدد كبير من أهل الأندلس المالكيين³. إلى المغرب بعد سقوط بعض المدن كاشبيلية و قرطبة.

تميزت المدارس المرينية في المجالات الفنية و التنظيمية و أيضا في الدور الفكري ، و تأثر المرينيون بما كان سائدا في المشرق الإسلامي و مغربه من إنشاء المدارس على يد السلاجقة و الأيوبيين و الحفصيين و إن توطيد أركان الدولة لا يقوم فقط على القوة العسكرية بل لابد من التقرب من رجال الدين و الاعتماد على ركيزة دينية و يكون ذلك بتأسيس المدارس الرسمية بحيث يكون أساتذتها و طلبتها مرتبطين بالسلطان الذي عينهم في تلك المؤسسات و أغدق عليهم بالهدايا و الرواتب الشهريّة⁴.

1) الفن الإسلامي: ترجمة عفيف بھنسي ط دمشق 1968 ، ص 212.

2) احمد بابا التنيكي : نيل الابتهاج، ص 246.

3) محمد القبلي: قضية المدارس المرينية ،ملاحظات و تأملات ،دار توبقال للنشر ،دار البيضاء 1987 ص 99-100.

4) المليح السعيد : المدارس المرينية و دورها الفكري بالمغرب كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس 1988-1989، ص 102.

و لقد أعطت أيضا وثائق التحجيس ، الهدف من إنشاء المدارس المرينية بصفة عامة ، ومن وثائق التحجيس الدالة على ذلك ، وثيقة التحجيس المحبسة على مدرسة الدار البيضاء (فاس الجديد) التي تضمنت ما يلي: "الحمد لله رب العالمين و مجزل ثواب العاملين المحي بالمدارس ما درس من معلم العلم و الدين....و بعد فهذا ما أمر بتخطيطه و إنشائه دفعا و ردعا لأيدي المعتدين مولانا الخليفة الإمام....أبو سعيد نور الله ثراه.....على إقراء القرآن العظيم و تدريس العلم بمدرسته المباركة"¹ أي أن الرغبة من إنشاء هذه المدرسة هو الرغبة في الحصول على الثواب، لأنها تعتبر صدقة جارية ينتفع من ثوابها منشؤها بعد وفاته².

بالرغم من الأحداث التي عرفها المغرب الإسلامي ، وذلك بقيام الدويلات المتصارعة فيما بينها فقد استطاع المرينيون أن يحافظوا على التراث الإسلامي ، و النهوض بالحركة العلمية و ذلك بإنشاء المؤسسات التعليمية و إلحاق بها المكتبات و خزائن الكتب ورعاية أهل العلم بجميع الوسائل المتوفرة و يقول ابن أبي زرع عن أبي سعيد عثمان 720هـ/1320م : أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيد الله ببناء مدرسة بحضرته فاس الجديد ، فبنيت أتقن بناء ، و رتب فيها الطلبة لقراءة القرآن و الفقهاء لتدريس العلم و أجرى عليهم المرتبات و المؤونة في كل شهر حبس عليها الرباع و المجاشر كل ذلك ابتغاء وجه الله و رجاء مغفرته³.

من هنا كان الهدف من إنشاء المرينين المدارس هو إقراء القرآن وهو يشمل الطلبة الذين يتابعون دراستهم في علوم القرآن ، و الهدف الثاني هو تدريس العلم حيث تتكفل المدرسة بإيوائهم و النفاق عليهم و هو مرتبط بمذهب الإمام مالك أي تدرس علوم المذهب المالكي.

و للإشارة أن مسألة تدريس القرآن لم تكن وليدة العصر المريني بل سبقهم الموحدون في تدريسه و كان الفرق في مسألة المذهب فقط.. فكان الموحدون قد انتهجوا سياسة للقضاء على معالم المذهب المالكي ، لكنه سرعان ما استرجع قوته في عهد المرينين بحيث يعتبر هذا المذهب بسيط و معتدل⁴.

1) Bel (A) : Inscriptions arabes de Fès ,1971 ;t VI ,p .158-160.

انظر :

2) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص 407.

3) Bel(A) : Inscriptions arabes de Fès pp152-153.

4) د/صالح بن قربة: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، ص183.

من المعروف أن بني مرين لم يكونوا أصحاب طريقة دينية أو اتجاه جديد في العقيدة ،لتبرير موقفهم للاستيلاء على الحكم ، جربوا حظهم مع المتصوفة محاولين استغلال نفوذهم لاستقطاب عدد كبير من الجماهير لكن أغلبية المتصوفة رفضوا العون معهم ، هذا ما أدى بهم إلى بناء مدارس سنية لفقهاء المالكية و ذلك لكسب النفوذ المعنوي و الروحي¹.

1) للمليح السعيد: المرجع السابق، ص 106

مواد البناء المستعملة:

استمر الزيانيون و المرينيون في استخدام مواد البناء التي عرفت في العهد الموحيدي في عمائرهم و لم يطرأ عليها تغيير كبير. ولعل أهم المواد التي استخدمها البناءون هذه الفترة، الأجر و حجارة الدبش و الملاط، و لم يستخدموا الحجارة الكبيرة المصقولة التي استخدمت عند الموحيدين.

كما استمروا في تقنية المعروفة آنذاك و التي تتمثل في الأجر و الملاط و أخيرا تكسى جدرانها بالجص و هكذا يبدو أنهم استخدموا ما كان معروفا عند الموحيدين من مواد و خاصة الأجر، الذي يعتبر مادة بنائية أساسية، و ذلك لسهولة استعماله في تشكيل العناصر المعمارية كالعقود و القباب ،

و قد كان هذا النوع من البناء معروفا في الأندلس من قبل و انتقل إلى المغرب عن طريق المرابطين الذين استخدموه في مبانيهم.مراكش ثم انتقل إلى الموحيدين بعد ذلك.

أما عن طرق استعماله ،فقد وضع في صفوف أفقية متوازية تصل بينها وصلات رقيقة من الملاط، هذا فيما يخص الدعامات ،أما في القباب فكان يوضع على شكل صفوف دائرية ، وأخرى متراكبة فوق بعضها البعض ،وتبرز إلى الداخل كلما ارتفع البناء،و تبلغ مقاسات الأجر المستعمل في المنطقة $0.03 \times 0.12 \times 0.2$ م¹

كما استعملت في نحت الأعمدة و التيجان مادة (onyx) ،وهو نوع مني المرمر الذي شاع استخدامه وذلك لتوفره بضواحي تلمسان .يمكن يدعى "عين تاكبالات"²، ونجده في مسجد أولاد الإمام ،في الزاوية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة .

1-Marcais(G) :L'architecture musulmane d'occident, p328,329.

انظر :

2-Bourouiba (R) :L'art religieux musulman ,p 174.

انظر :

أما الأقواس فقد اتبع فيها طريقة تعتمد على حجارا وسط يكون بمثابة مفتاح القوس ،و اعتمد فيها أيضا على الآجر و الملاط (الشكل 8).

و استعملت مادة الخشب في البناء و الزخرفة و ذلك لتوفرها في بلاد المغرب التي تتوفر بها غابات كثيرة
بجبال الأطلس¹

و استعمل في التسقيف كما هو الشأن في مدرسة أولاد الإمام، انظر (الصورة رقم4) (الشكل رقم 1) و كذا في باب المدرسة التاشفينية المحفوظة في متحف تلمسان، وهو ذو مستطيل الشكل، زين بزخارف هندسية عبارة عن أشكال نجمية ذات ثمانية رؤوس ووزعت عليه مجموعة من المسامير انظر (الصورة رقم 10)، و نجده في زخرفة قاعدة القبة في مدرسة سيدي أبي مدين

و استعملت الفسيفساء الخزفية بكثرة حيث يعتبر استمرارية لما وجد من قبل على عمائر الحمادين و الموحدين و نجد هذا النوع من الزخرفة على مئذنة المدرسة التاشفينية، كما استعملت فيها ألوان عديدة كالأبيض ، البني ، الأصفر و البرتقالي.

كذلك بالنسبة للأجر استعمل أيضا في زخرفة المآذن، و استعمل القرميد الأخضر ذو الطلاء الشفاف لغطاء الأسقف من الخارج .

و استعمل أيضا الجص بكثرة فنجده يكسو جدران قاعة الصلاة في مدرسة سيدي ابي مدين و في زخرفة محراب مسجد أولاد الإمام.

1.Golvin (l) : La madrasa médiévale ,p 298.

خلاصة الفصل:

بذل المريونيون جهودا جبارة في ميدان العمارة تشهد على ذلك مآثرهم العمرانية الخالابة التي ما زالت تنطق بذلك ،و تتجلى الميزة الأساسية لحضارة المريينيين في أسلوبهم الخاص في فن البناء و الزخرفة حيث أدرك الفن الأندلسي المغربي قمته في عهدهم ،فساد أسلوب فني رائع مزج بين الغرناطي نسبة إلى "غرناطة " الأندلسية و مدينة تلمسان ،فظهرت خواصه في مدينة "المنصورة" ، و تفننهم في تشييد المدارس كما هو الحال في مدرسة سيدي آبي مدين التي تعتبر الشاهد الوحيد بتلمسان الزيانية . فكان لتأسيس المدارس المرينية ،هدف و هو شغل الفراغ الديني الذي تركه الموحدون ، فانشاوا مدارس عديدة سنة 679هـ/1280م كمدرسة الحلفاويين و مدرسة فاس الجديد إلى غير ذلك من المدارس التي لعبت دورا كبيرا للنهوض بالحركة العلمية و الثقافية بالمغرب إلى جانب تكوين اطر متخصصة في المذهب المالكي.

الفصل الثالث

دور المدرسة التربوي و التعليمي

1- منظومة المدرسة في الإسلام.

2- نظام التعليم بالمغرب الأوسط.

-خلاصة الفصل

1- منظومة المدرسة في الإسلام:

لم يكن قيام المدرسة وليد نفسها أو نتائج تأمل مجرد يحدث في فراغ من جانب الكبار ، كما أن برنامجها التربوي لم يتم تلقائيا ، وإنما هي منظمة اجتماعية أنشئت و تطورت في كل مجتمع نتيجة ما بذله أفراد من جهود لتوجيه حياة الناشئين و مساعدتهم على مواجهة ظروف الحياة في المجتمع ، و من ثم تتأثر المدرسة والتربية بصفة عامة ، بأحكام هؤلاء الكبار و طرق اختيارهم ، و هذه الطرق و تلك الأحكام تتأثر بدورها بظروف الزمان و المكان من تاريخ و نظام الحكم و معرفة و علم و تقاليد و هذا كله وليد تنظيمات تعبر عن خبرات أفراد هذا المجتمع.¹

تضافرت الأسباب لظهور المدرسة عند المسلمين فكان التركيز عند المسلمين على العلم الديني ، فيقول معاذ بن جبل (ت 18هـ/639م) : "تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة و مدارسته تسبيح و البحث عنه جهاد، و تعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة".²

أما من الناحية السياسية فهي كذلك من دوافع إنشاء المدارس، حيث جعل الحكام التربية احد أسلحتهم لمحاربة و اقتلاع آثار الآخرين، و استخدمت لقهر أفكار الخصوم و محاربة الفكرة بالفكرة و الرأي بالرأي.³ كما لا يمكن ان ننسى الدوافع الثقافية التي كانت عند الخليفة ، فكان يجمع الكثير منهم ثقافة عالية مع رغبة شديدة في نشر التعليم بين الناس .

لقد تعددت العناصر المشرفة على المدرسة من مدرسين و معيدين و نظام و كتبة تنحصر مسؤولياتهم في تحرير الرسائل و تنظيم السجلات الإدارية ، وقيمين مهمتهم القيام على حراسة المدرسة و حفظ مفاتيح أبوابها ، و نفاطين يزودون مصايح الطلاب بالنفط و ينفطون مصايح المدرسة و غرف الفقهاء.⁴ وهناك وظائف فنية مهمة أصحابها القيام بالمحافظة على المبنى و صيانتة و على رأس هذه الوظائف :المعمار، المرخم، السباك ، النجار .

1) سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي ، القاهرة 1986، ص365.

2) الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج1 دار الكتب العلمية ط1 ، 1423هـ ، ص11.

3) سعيد إسماعيل علي : المرجع السابق: ص306.

4) حسن امين: المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، بغداد 1960، ص97.

وظيفة المدرسة الإسلامية هو تدريس الفقه وفق مذهب واحد أو أكثر. و يقوم المعلمون بتدريس مختلف العلوم و غلب على هذه العلوم الطابع الديني ، ويختار المعلم ضمن خصال ينبغي أن تتوفر بهم، فهم من اتصفوا بالديانة و الورع و التقوى و الأهلية¹

و هناك في المدرسة عدد من الناصب التدريسية الشهيرة :

1- مدرسون للفقه على عدد مذاهب المدرسة ، فكان مثلاً مجموع طلبة المدرسة المستنصرية 248 طالب أو فقيه و كان لكل طائفة من الطوائف الأربع مدرس أي للحنفية و الشافعية و الحنبلية و المالكية.²

2- معيدون لإعادة الدروس حيث بلغ 16 معيدا في المدرسة المستنصرية ، ينتخبون من طرف الطلبة أنفسهم³. و يكون المعيد من الصلحاء ، الفضلاء ، صبور على اختلاف الطلبة ، حريصا على فائدتهم و انتفاعهم به ، و يعيد لهم ما تعذر فهمه من دروس المدرس ، و لهذا يسمى معيدا. و قد ذكر السبكي : "إن المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ، و نفعهم ، و علم ما يقتضيه لفظ الإعادة".⁴

أي أن المعيد يبدأ عمله بعد انتهاء الشيخ من درسه فيشرخ النقاط الغامضة من الدرس و يساعد محدودي الذكاء من الطلاب في شرح ما صعب عليهم فهمه.

و كان المعلمون في المدارس مختلفي الاختصاصات، يدرسون الفقه و علوم الحديث و أصوله ، ومنهم شيوخ مقرئون ، و معلمو العلوم اللغوية العربية و الأطباء إلى غير ذلك.

و لقد تألفت المدرسة من أقسام علمية متخصصة لها أساتذتها ، فعلى سبيل المثال نجد أن المدرسة المستنصرية تألفت من عدة أقسام أو معاهد علمية منها مدرسة الفقه ، و دار القرآن ، و دار الحديث ، و أقسام العربية ، الرياضيات ، و العلوم الأخرى ، و معهد الطب الذي كانت تدرس به العلوم الطبية في بناء خاص به ، و أهم الأقسام بها (أي المستنصرية) مدرسة الفقه لان كما نعرف أن الغرض الرئيسي الذي تقوم عليه

1- ابن جماعة: تذكرة السامع و المتكلم في ادب العالم و المتعلم ، مطبعة دار البشائر الاسلامية 2008. ص 45.

2- ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية بغداد 1959، ج1، ص 56.

3- عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، ص 30.

4- السبكي: معيد النعم و مبيد النقم ، تح محمد يوسف موسى ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 1905، ص 208.

كما أن المدرسة لا تخلو من مكتبة، حيث تزود بالكتب التي تختلف تبعا لمكانة المدرسة بحيث تعتبر المكتبة أداة تربوية حية لخدمة النشء.¹

أما بالنسبة لمواعيد الدروس و أوقاتها، فقد ارتبطت بمواعيد الصلاة فتكون قبل أو بعد الصلاة كصلاة الفجر أو العصر.

أما بالنسبة للمدة الزمنية للدرس، فترك المجال للأستاذ أن يقدر الوقت الكافي للموضوع الواحد أو للدرس الواحد، فقد كان الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بابن وريدة البغدادي كان يطيل الحديث و لا يضجر.²

و لم تقتصر المدارس على أن نكون مركز معرفة و علم و قضاء و حكم، بل تحولت إلى حصون دفاعية، و قلاع حربية كالمدرسة الحسينية في القاهرة، احتلت موقعا مهما، فكانت متينة البناء، عالية الجدران و تواجه القلعة التي تشرف على مدينة القاهرة و يقيم بها السلطان.³

و تعتبر المدرسة الإسلامية تغلغت فيها الروح الإسلامية، و استقبلت الغني و الفقير من أبناء المسلمين، حيث أمنت لهم الأجواء الملائمة يسودها الود و الوئام بين العالم و المتعلم، حيث كان المتعلم حريصا على تلقي العلم، و العالم حريص بدوره على تزويد طلبته بالعلم النافع و غرس مبادئ الفضيلة و الأخلاق الإسلامية في نفوسهم.

(1) ج.رالف: المكتبة و دورها في التربية، ترجمة مصطفى الصاوي الجوني، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة 1987. ص 3.

(2) حسن امين: المدرسة المستنصرية، ص 81.

(3) محمود قمبر: دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، قطر 1987. ص 71.

2- نظام التعليم بالمغرب الأوسط:

عرف المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين ، تطور كبير في مختلف المجالات الحضارية ، وخاصة في المجال العلمي و بقيام الدولة الزيانية التي كان حكامها يشجعون العلم و العلماء حيث برزت تلمسان كحاضرة و مركزا للإشعاع.

ولقد عرفت أوضاع التعليم في الغرب الإسلامي تباينا واضحا ، فهناك من حافظ على طريقة واحدة للتعليم كتونس و تلمسان و هناك من انقطع كالأندلس و فاس هذا ما اثر على الحركة العلمية¹ و لقد حافظت تلمسان على سند تعليمها عن طريق عالمها أبو عيسى موسى ابن الإمام الذي تتلمذ على مشايخ تونس التي كان سند التعليم بها متصلا بالشرق.²

هذا و كان لنزول عمران المشدليبتلمسان و إقامته فيها دورا بالغا في بث طريقته في التعليم.³ كما رحل فيما بعد عالم تلمسان أبو عبد الله الشريف إلى تونس ، فلقى أبا عبد الله بن عبد السلام حيث حضر مجلسه و استفاد منه حتى كملت طريقة التعليم لأبي عبد الله الشريف و سعيد العقباني.⁴ لم يهتموا بإنشاء المراكز التعليمية فقط بل أعطوا عناية بالغة للتعليم و رجاله ، لأنه يعد من العوامل الأساسية المساهمة في الحركة العلمية في أي مصر من الأمصار ، كما يعتبر مرآة عاكسة للازدهار الثقافي و العلمي و سوف نرى نظام التعليم من خلال مراحل و طرق التدريس:

-
- (1) ابن خلدون : المقدمة ، ص 450-451.
 - (2) ابن مرزوق: المسند الصحيح ، ص 260-265.
 - (3) ابن خلدون : المقدمة ، ص 480.
 - (4) المقرئ: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ضبط و تحقيق مصطفى النقا ، إبراهيم اليباري ، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي ، المغرب ، الإمارات 1980 ، ج3، ص25

أ-مراحل التعليم:

❖ التعليم الابتدائي:

كان الهدف في هذه المرحلة هو تحفيظ القرآن الكريم و مبادئ اللغة و اكتساب الخط، و كان يتم هذا في الكتاتيب ، كما يحرصون كل الحرص على تحفيظ القرآن و التلاوة الحسنة ، هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوضوء، و الصلاة و التشديد عليهم لاستعابها.

و يرى عبد الرحمن ابن خلدون أن طريقة تعلم القرآن و حفظه في أول الأمر هو أصل التعليم، وهو أول ما يجب تعلمه لأنه به يبنى ما يحصل بعد ذلك من الملكات.²

❖ التعليم الاحترافي:

كانت هذه الدروس تتم في المساجد الجامعة كالجوامع الأعظم بتلمسان ، و الجزائر³ و المدارس المشهورة ، ففي هذه المرحلة ينكبون على دراسة مختلف التخصصات العلمية إلى جانب العلوم الدينية⁴. كتفسير القرآن والاطلاع على علومه وعلم الحديث و الفقه خاصة المالكي ، و علوم اللغة العربية و آدابها ، و غيرها من العلوم. تمزيد من التعمق و التحليل و يقوم بدراسة الطلبة في هذه المرحلة أساتذة متخصصون في مختلف المواد العلمية ، و قد أوردت المصادر أن سلاطين بني زيان كانوا يشرفون بأنفسهم على تعيين الأساتذة في مدارس دولتهم ، و يدفعون أجورهم كما يحضرون مجالس دروسهم.⁵

1) القابسي ابو الحسن: الرسالة المفضلة ، دراسة و تحقيق احمد خالد ، الشركة التونسية ، ط1 ، 1986، ص 30-40.

2) ابن خلدون : المقدمة ، ص 603.

3) عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية في عهد بني زيان ، مجلة الأصالة ، العدد 26 ، 1975 ، ص 138.

4) محمد بو شقيق : العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9/15م ، مذكرة ماجستير ، جامعة وهران ، قسم التاريخ 2004.

5) عبد الحميد حاجيات: المقال السابق، ص 138.

ب- طرق إلقاء الدروس:

❖ طريقة الإلقاء و الإملاء:

أي ان المدرس يجلس في وسط الحلقة و يقوم بإملاء الدرس الذي هو بصدد تعليمه لهم ، و الطلبة يقومون بكتابته على لوح خشبي ، و يتم حفظه و أخيرا يمتحن الدارس.¹

❖ طريقة اختيار كتاب معين من العلوم و شرحه:

تسود هذه الطريقة في مرحلة التعليم الاحترافي حيث يقوم الطالب بقراءة نص من الكتب المشهورة و بعد ذلك يقوم الأستاذ بشرح النص و تبسيط ما ورد من المفردات الصعبة.²

❖ طريقة المحاوره:

هذه الطريقة انتقلت من تونس إلى المغرب الأوسط و ذلك من طرف العالمين الجليلين ابني الإمام و تركزت هذه الطريقة على التحليل و المحاوره و الابتعاد عن أسلوب الحفظ.³ و هذه الطريقة تجعل المدرسين يعتمدون كثيرا على البحث في القضايا العلمية و خاصة فيما يتعلق بالعلوم العقلية كالحساب و الهندسة ، و يكون الطالب هو النواة المحورية للوصول الى حل هذه القضايا في حين يبقى الشيخ و يدير هذه المناظرة.⁴

(1) لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم تاريخ ، جامعة تلمسان 2005 ص 97

(2) اسكان حسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق 13/هـ إلى ق 15/هـ م ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ جامعة محمد الخامس ، كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، الرباط 1987 1988 ص 114.

(3) ابن خلدون : المقدمة ص 450.

(4) عبد العزيز فيلاي : تلمسان في العهد الزياني ، ج2، ص 353

5-الرحلة العلمية:

كان طلاب المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجري يرتحلون لطلب العلم من الحواضر الإسلامية المغربية الكبرى كفاس و غرناطة و تونس ، أو المشرقية كالقاهرة و بغداد ،وذلك بهدف تنمية معارفهم و الالتقاء بفطاحل العلماء ، بحيث أن الرحلة في طلب العلم تعد إثراء في التعليم.

و قد ذكر ابن خلدون في فصل كامل في مقدمته أهمية الرحلة العلمية التي تساعد في تكوين الطالب حيث قال : ".....إن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب و الفضائل تارة علما و تعليما و إلقاء و تارة محاكاة و تلقيا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين اشد استحكاما و أقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات و رسوخها....فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال للقاء المشايخ ومباشرة الرحال....."¹.

و لقد عرفت الرحلة العلمية نشاطا و ذلك لحرية التنقل بين مختلف الأمصار المغرب و الأندلس و المشرق رغم الانقسام السياسي الذي كان موجودا آنذاك في العالم الإسلامي ، كما كان الطلاب يستقبلون بحفاوة ، وكانت توفر لهم أماكن الإقامة إلى جانب ترحيب العلماء بالطلاب الوافدين عليهم كما ساهمت الرحلة العلمية في توطيد الروابط الثقافية لبلاد المغرب الأوسط مع دول المغرب و الأندلس و بلاد المشرق.

(1) ابن خلدون :المقدمة ص 605.

6-الإجازة العلمية:

من خلال الرحلة كان الطلبة يسعون إلى الحصول على الإجازات في مختلف العلوم ، فكان عليهم زيارة المراكز العلمية المشهورة آنذاك بهدف الاتصال بكبار العلماء و الأخذ عنهم و الحصول على الإجازة و الرواية منهم ، و ذلك حرصا على السند العلمي الذي بفضلله يصل الطالب بمؤلفي كتب العلوم خاصة علم الحديث¹ الذي ارتبطت به الإجازة العلمية ارتباطا وثيقا لأهميته في حفظ رواياته التي بفضلها يتم هذا العلم و يكتمل لان بدونها يكون ناقصا و لهذا شدد العلماء على إعطاء الإجازة إلا للطلاب النجيب².

ومن اجل هذه المهمة النبيلة رحل الكتيب من العلماء و الطلاب إلى الحواضر العلمية الإسلامية للحصول على الإجازة في مختلف العلوم الدينية خاصة علم الحديث من قبل علمائه، فلقد رحل ابن مرزوق الى القاهرة و التقى بالعالم المحدث ابن حجر العسقلاني (ت 852) الذي كان عمدة علم الحديث في مصر خلال القرن التاسع الهجري و الذي أجازته³.

لكن في أواخر القرن 9هـ/15م و الفترة التي تلتها في المغرب الأوسط فقدت الجازة العلمية أهميتها بسبب انقطاع الرحلة العلمية و اكتفاء الطالب بطلب الإجازة عن طريق المكاتب لا بزيارة الشيوخ و العلماء كما كان الحال في السابق⁴

1) القلصادي: رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الاحفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس 1978 ص 66.

2) يوسف الكتاني : مدرسة الامام البخاري في المغرب ، دار لسان العرب ، بيروت ، ج 1 ص 130.

3) السخاوي شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة ، (د-ت) ج 7، ص 50.ل

4) الروداني احمد بن سليمان : صلة الخلف بموصل السلف ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ، ص 30.

7-إنشاء المكتبات العامة:

من الركائز المهمة التي تبني عليها الحياة العلمية ، فلا يمكن ان تزدهر هذه الأخيرة ألا عن طريق تدريس المقررات بل يجب توفر الكتب ، التي توضع في مكتبات عامة حيث تكون في متناول الطلبة دون اللجوء إلى شرائها مما يوفر للمعلمين و المتعلمين الوقت و المال.

و من بين المكتبات التي عرفت ، مكتبتا الجامع الأعظم ، الأولى انشأت من طرف السلطان ابو حمو موسى الثاني في 760هـ/1359م و كانت على يمين المحراب من الجار القبلي ، و لكنها هدمت و ما فيها من كتب و ذلك في 1266هـ/1850م.

أما المكتبة الثانية فانشأت من طرف السلطان ابو زيان محمد بن ابي حمو الثاني في 769هـ/1394م و كانتن بالقسم الامامي من الجامع الكبير.¹

و من بين مظاهر الاهتمام بالعلم جعل الجرايات على العلماء و تامين النفقات للطلبة ، لان إهمال الدولة للتعليم وعدم الاعتناء بأهله هو من أسباب الرئيسية لزواله . و يظهر هذا الإهمال في عدم بناء المدارس و عدم تعيين المدرسين فيها.

لكن هذا لم يكن في المغرب الوسط في تلمسان بالضبط في عهد بني زيان لان نجد من قول التنسي عن أبي حمو الثاني لما شيد مدرسته : "و قد احتفل بها هذا السلطان و اعتنى بها ، و اثر عليها الأوقاف ، و رتب الجرايات ".²

كما قام الكثير من الملوك بحبس الاحباس على العلماء و الطلبة و الأئمة طلبا للثواب و الصدقات الجارية ، لان المؤسسات التعليمية تحتاج إلى الكثير من الأموال لتسيورها و صيانتها ، و حاجات الطلبة تستدعي نفقات لا يمكن أن توفي بها خزينة الدولة ، فالأوقاف هي المصدر الآمن الذي لا يؤثر عليه ضعف الخزينة و تدعم الحركة العلمية.

كما اعتنى الملوك بالمجالس العلمية التي كانت تعقد في قصورهم و بحضرهم ، و كانت هذه المجالس يحضرها أدباء، و فقهاء ، و علماء الحديث ، و ممن عرف بهذه المجالس أبو تاشفين بن أبي حمو الأول ، حيث حضر مناظرة بين أبو زيد ابن الإمام و أبو موسى عمران المشدالي في منزلة ابن القاسم ها هو مقلد للمالك أم مجهد مطلق.³

(1) الحاج شاوش: باقة السوسان ص 400.

(2) التنسي: نظم الدر و العقيان....ص

(3) الحفناوي : تعريف الخلف...ج2، ص 216-217.

و من الأمور التي تدفع أيضا بالحركة العلمية، تيسير إقامة العلماء و ذلك بترحيب الملك بالعلماء، بخلاف ما إذا كانت الأحوال السياسية مضطربة، فهذا كان يدفع بالعلماء إلى الهجرة من كل بلد يستولون عليها.

و كان أول من عرف بهذه الميزة يغمراسن بن زيان كما وصفه التنسي "فاضلا محبا لأهل العلم و الصلاح...و له رغبة عالية يبحث عليهم أينما كانوا و يستقدمهم إلى بلده و يقابلهم بما هم أهله".¹

وكذلك عبد الرحمن أبو تاشفين بن أبي حمو الأول كان له صفة أبيه و سابقه ، وفد عليه الفقيه أبو موسى ابن عمران المشدالي ، أكرم نزله وولاه التدريس بمدرسته الجديدة ، وكذلك الأمر لمحمد السلاوي لما فر من بني مرين أوى الى المدرسة التاشفينية و درس بها.

و كانت مدينة تلمسان يوفد عليها العلماء ، و يعبرها الرحالة في طلب العلم كمحمد العبدريالبلنسي ، في رحلته إلى الحج ، أقام بها لمدة سنة قبل أن يغادر إلى المغرب.²

أخيرا قد ساهم الملوك في تشجيع العلماء على التأليف ، ومن أشهر المؤلفات في تاريخ الإسلام الرسالة النظامية للجوني الذي ألفها للوزير نظام الملك ، و ألف الشريف التلمساني كتابه المفتاح كما في مقدمته للسلطان المريني ابر عنان ، كما ألف التنسي كتابه التاريخي الأدبي الذي سماه نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان لسلطان زمانه محمد المتوكل.

بعد أن استعرضنا منظومة التعليم في الإسلام و تحديدا في المغربي الوسط يجدر بنا الأمر إلى التعريف بالعلماء الذين درسوا بمدارس تلمسان الذين كان لهم تأثيرا ثقافيا و فكريا ، وذلك بنشر ما عندهم من علوم و معارف

1) التنسي: نظم الدر و العقيان ، ص 125.

2) عبد الحميد حاجيات : ابو حمو موسى الزياتي ، ص 141-142.

جدول يبين أسماء العلماء و الأدباء بمدارس تلمسان

أسماء العلماء	تاريخ الوفاة	صفاته و ألقابه العلمية
أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي	1281/هـ 680م	فقيها-مدرسا لعلم الحديث
أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام محمد بن عبد الله بن الإمام البركشي	1341/هـ 741م	فقيها-شيخ المالكية -انضم الى مجلس ابي الحسن سنة 737هـ- 1337م
أبو موسى عمران ابن موسى المشدالي البجائي	1345/هـ 745م	فقيها -من اكبر فقهاء تلمسان - محقق
أبو موسى عيسى بن الإمام، اخو أبي زيد المذكور	1349/هـ 749م	فقيه مالكي -انضم الى مجلس أبي الحسن .
أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد النور التلمساني	1349/هـ 749م	قاضي-تولى القضاء بتلمسان و فاس و كان عارفا بالغة و مقربا من السلطان.
أبو عبد الله محمد النجار	1349/هـ 750م	نبغ في العلوم العقلية و العاليم التحق ببلاط أبي الحسن المريني
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الابلي	1356/هـ 757م	شيخ العلوم العقلية و النقلية

محمد بن محمد بن احمد بن أبي بكر القرشي التلمساني الشهير بالمقري	1347/هـ759م	قاضي - فقيه و محقق
أبو العباس احمد بن الحسين بن سعيد المديوني	1369/هـ769م	فقيه - استعمله أبو الحسن المربني في الزكاة. قاضي تلمسان على عهد أبي عنان.
أبو عبد الله الشريف التلمساني	1370/هـ771م	من علماء تلمسان - مارس التعليم في كل من تلمسان و فاس
أبو العباس احمد ابن علي الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني	1049/هـ809م	أستاذ و قاضيا تولى القضاء ببجاية و قسنطينة و مراكش
سعيد بن محمد العقباني	1049/هـ811م	أستاذ و قاضيا و فقيها ، تولى القضاء ببجاية و مراكش و سلا و وهران و تلمسان

خلاصة الفصل

نتج عن اهتمام حكام بني مرين و بني زيان بالحركة التعليمية تشييد عددا من المدارس داع صيتها بين دول المغرب الكبير ،حيث لعبت هذه المؤسسات دورا بارزا و أساسيا في تنشيط الحركة الفكرية بتلمسان ، هذا ما أدى إلى توافد عدد كبير من العلماء و الفقهاء الذين تولوا التدريس بهذه المدارس ،و لهذه الأسباب مجتمعة كان لابد من وضع نظام و برنامجا تربويا تتبعه هذه المدارس ويكمن هذا التنظيم في تدريس مختلف الاختصاصات و ذلك بتعيين معلمين كل حسب اختصاصه ، إلى جانب تحديد المدة الزمنية للدرس و إتباع طريقة معينة للتعليم ، كما توفرت بداخل المدارس مكتبات بغرض توفير الكتب حتى تكون في تناول الطلبة.

الخلاصة

الختامة:

ظهرت المدارس في العالم الإسلامي ، و أصبحت تحتل مكانة هامة ضمن العمائر الدينية في المدينة الإسلامية ، فلم تخلو أي مدينة من هذا النوع من المؤسسات ، فمن خلال دراسة المدارس الزيانية و المرينية بالمغرب الأوسط استخلصنا بعض الاستنتاجات و هي كالآتي:

- بدا هذا الانتشار من المشرق إلى المغرب الإسلامي ، فظهرت في أول الأمر في إيران ثم العراق و بعدها انتقلت إلى بلاد الشام و مصر ثم إلى بلدان المغرب و أخيرا غرناطة في بلاد الأندلس.

- وجدت مدارس تحتوي على الاواوين وهو عنصر معماري ساساني ورثه المسلمون و استخدموه في منشاتهم منذ الفترة الإسلامية المبكرة و استعمل في المدارس السورية في حلب و في غيرها من مدن الشام و المصرية ، و ذلك لتعدد المذاهب بما فكان كل إيوان خاص بمذهب كالمدرسة الكاملية و المستنصرية.

- تشجيع سلاطين بنو زيان و بنو مرين للعلم و قد عرف السلاطين بجهودهم المستمرة في نصرتهم للعلم ، حيث كانوا يستقبلونهم من مختلف الحواضر الإسلامية لاسيما الأندلس.

- ارتبط النظام المعماري في المغرب الأوسط في تخطيطه بالوظيفة التي أنشأ لأجلها و هي الإقامة و تحصيل العلم و خاصة العلوم الدينية ، كما تميزت أيضا في سيطرة الفقهاء الملكيين كمنشطين أساسين لها ، أي كانت ذات وحدة مذهبية هذا ما جعلت المعمار يركز على حلول معمارية أخرى تحقق الجمع بين الإقامة و العلم، و من هنا استحضر نظام الأربطة و استفاد منه لتخطيط المدارس كرباط سوسة و المنستير.

- أصبح التعليم تعليما رسميا يخضع لإشراف الدولة و مراقبتها و هذه السياسة كانت مطبقة بمدارس تلمسان، حيث خضعت في إدارتها و نظام التدريس بها للدولة .

- تخطيط المدارس في بلاد المغرب الأوسط، يقوم على الصحن المركزي ، و ما يحيط به من حجرات و غرف و بالجهة الجنوبية يقوم المصلى و هو قاعة الدرس ، و الجهة الشمالية خصصت للمدخل و تحوي اغلب هذه المدارس على طابق أعلى باستثناء مدرسة أولادالإمام التي كانت تعد جد بسيطة فكانت تفتقر لمدخل أو صحن أو طابق علوي.

- بنيت معظم المدارس في وسط اجتماعي متحرك في أحياء سكنية كثيفة بالسكان ، أو مجاورة للأسواق أي جاءت في مركز المدينة ، ما عدا مدرسة سيدي بومدين التي بنيت في موضع لم يكن مزدحماً بمنشآت معمارية أخرى.

-انفردت المدرسة التاشفينية بخاصية فريدة بحيث تتميز ببيت الصلاة فيها على ثلاثة أقسام تتصل ببعضها البعض بواسطة عقود كبيرة ، تذكرنا بالعمارة الشرقية و على وجه الخصوص المدارس الشامية كمدرسة معرة النعمان و الشرفية بحلب كما كان تصميم المدرسة مزدوج المعالم فهي عبارة عن مسجد و مدرسة في آن واحد. كما انفردت بوفرقتها على زخرفة من الفسيفساء الخزفية جد نادرة.

- كما لا يمكن إنكار أهمية هذه المدارس في ظهور علماء و فقهاء داع صيتهم في أنحاء العالم الإسلامي الذين برعوا في مجالات عديدة كالفقه و علم الحديث و العلوم الأخرى كالحساب و المنطق و العلوم اللغوية و العربية و غير ذلك، و كذلك تشجيع الحكام لهم و مكافأهم و التيسير الإقامة لهم.

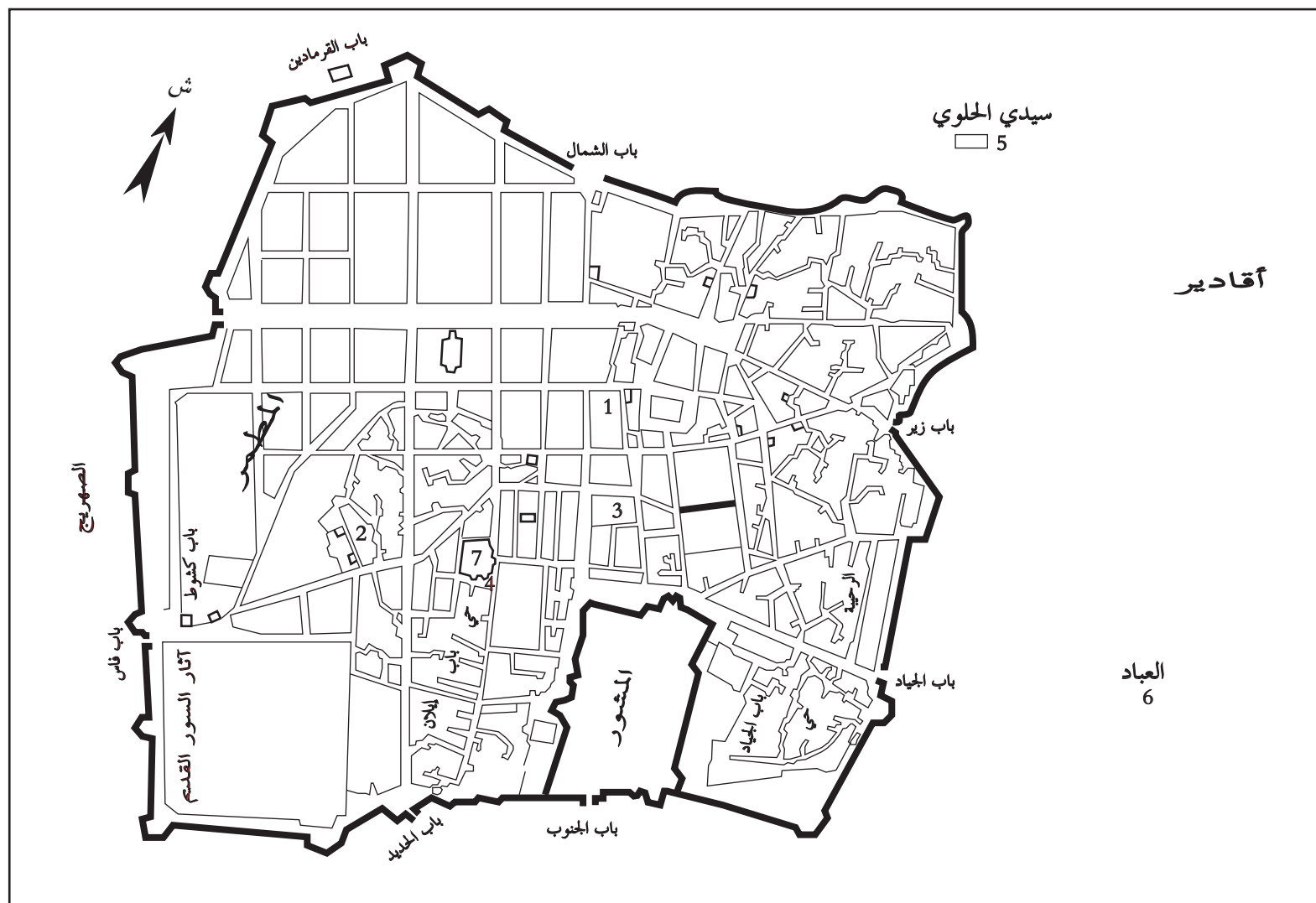
- استمر الزينانيون و المرينيون في استخدام مواد البناء التي عرفت في العهد الموحي في عمائرهم حيث لم يطرأ عليها تغيير كبير وذلك لعدم ضخامة عمائرهم ، حيث لم يستخدموا الحجارة الكبيرة المصقولة إلا ما وجد في مثذنة المنصورة.

-ابتكار خاصية الزخرفة بالفسيفساء الخزفية ذات أشكال هندسية متنوعة التي وجدت بكثرة في المدارس الزينانية و المرينية.

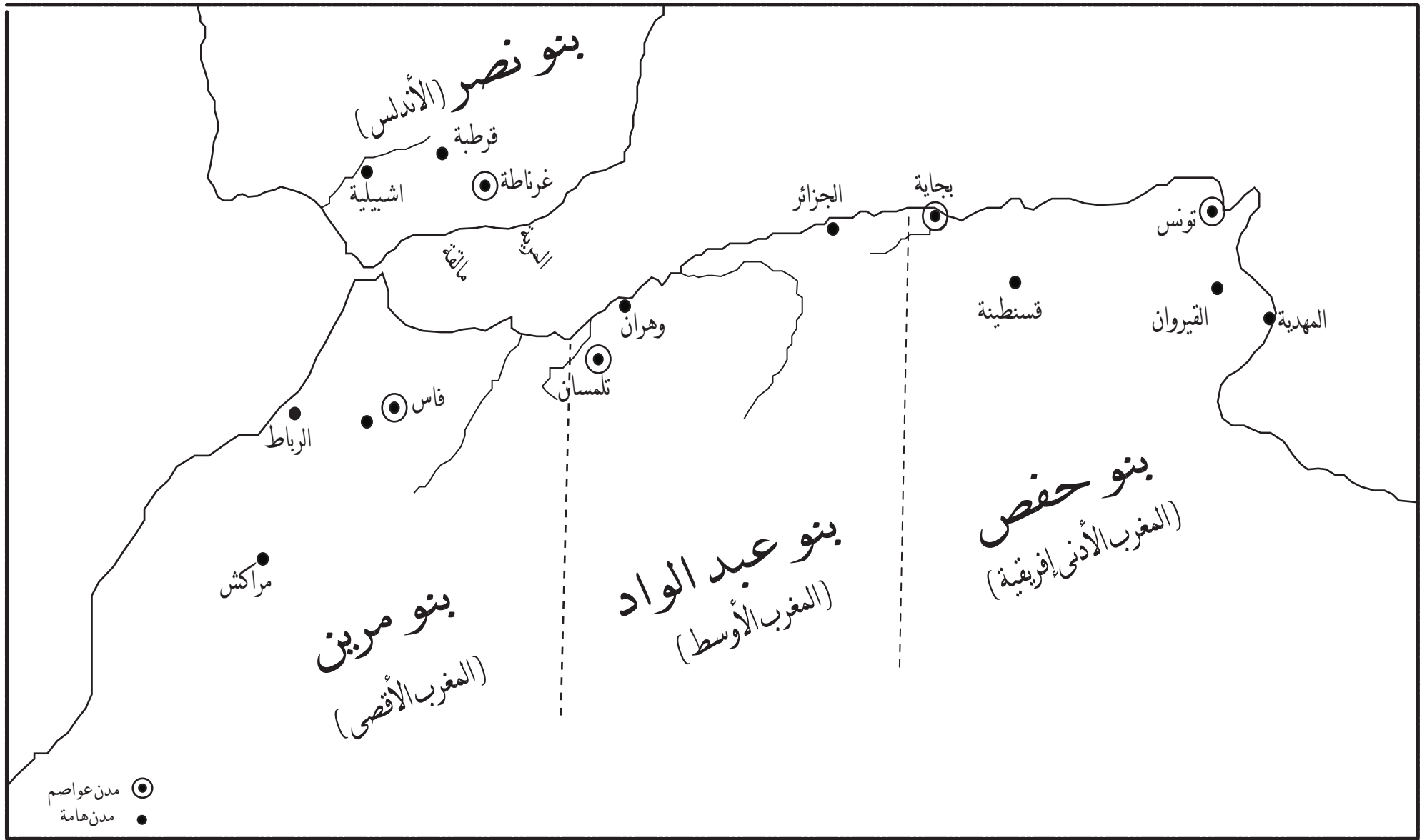
-التأثر بالتقاليد المرابطية و الموحدية من الناحية الفنية و الذي يظهر في عنصر المراوح النخيلية الصماء، و يظهر أيضاً التأثير الأندلسي في تموجها و التواءها.

- تعرض تلمسان و الدولة الزينانية إلى هجمات جارتها الحفصية في الشرق و المرينية في الغرب الذي كان ينتهي بالاستيلاء عليها و حصار المدينة تبعها تقديم البنائات ، هذا ما أدى إلى قلة المباني و المؤسسات التعليمية التي شيدت من طرف بني عبد الواد ، و لم تبق سوى المدرسة الخلدونية التي بنها المرينيون.

ملحق الخرائط



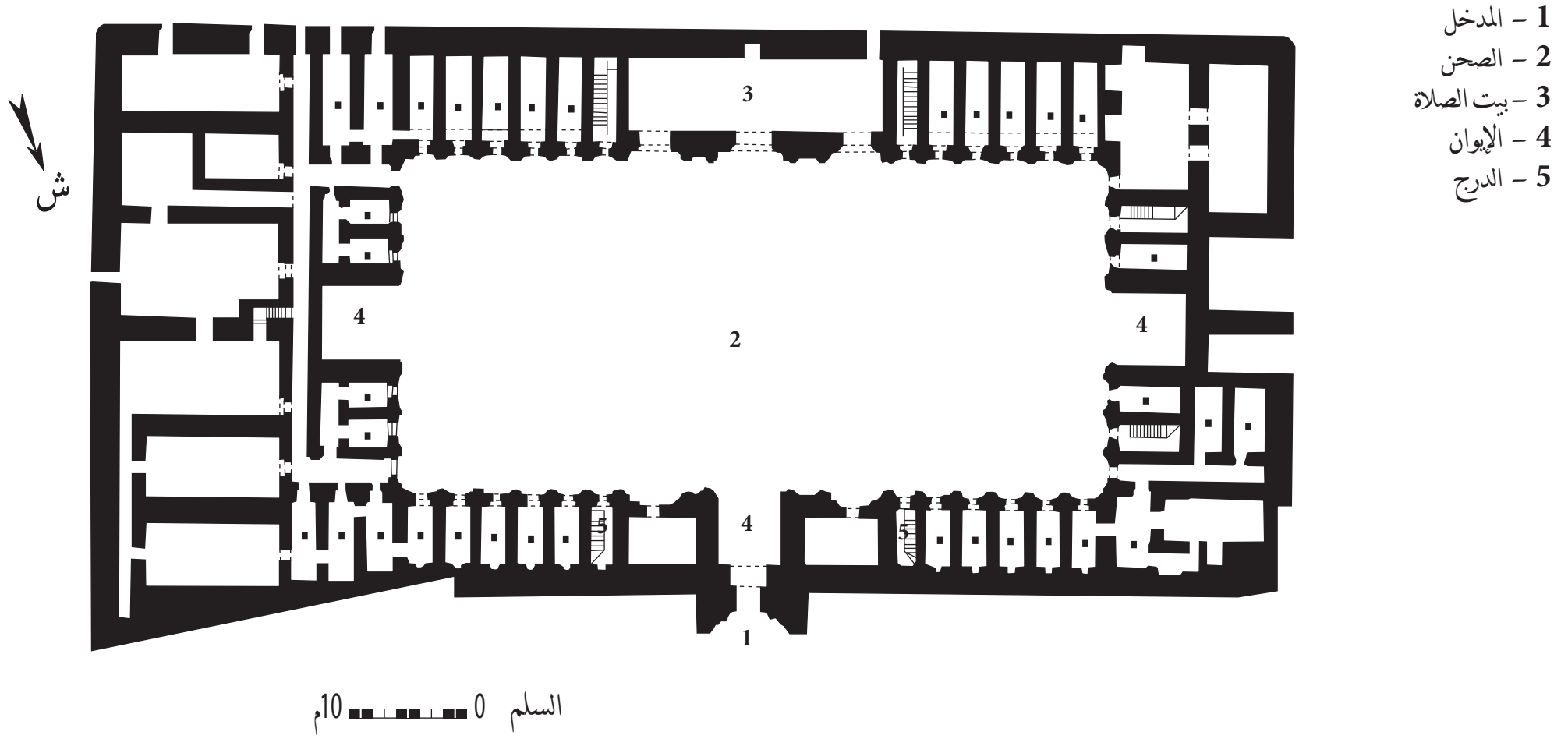
الخريطة 1 : تموقع المدارس في النسيج المعماري لتلمسان



عن محمد بن عمرو الطمار

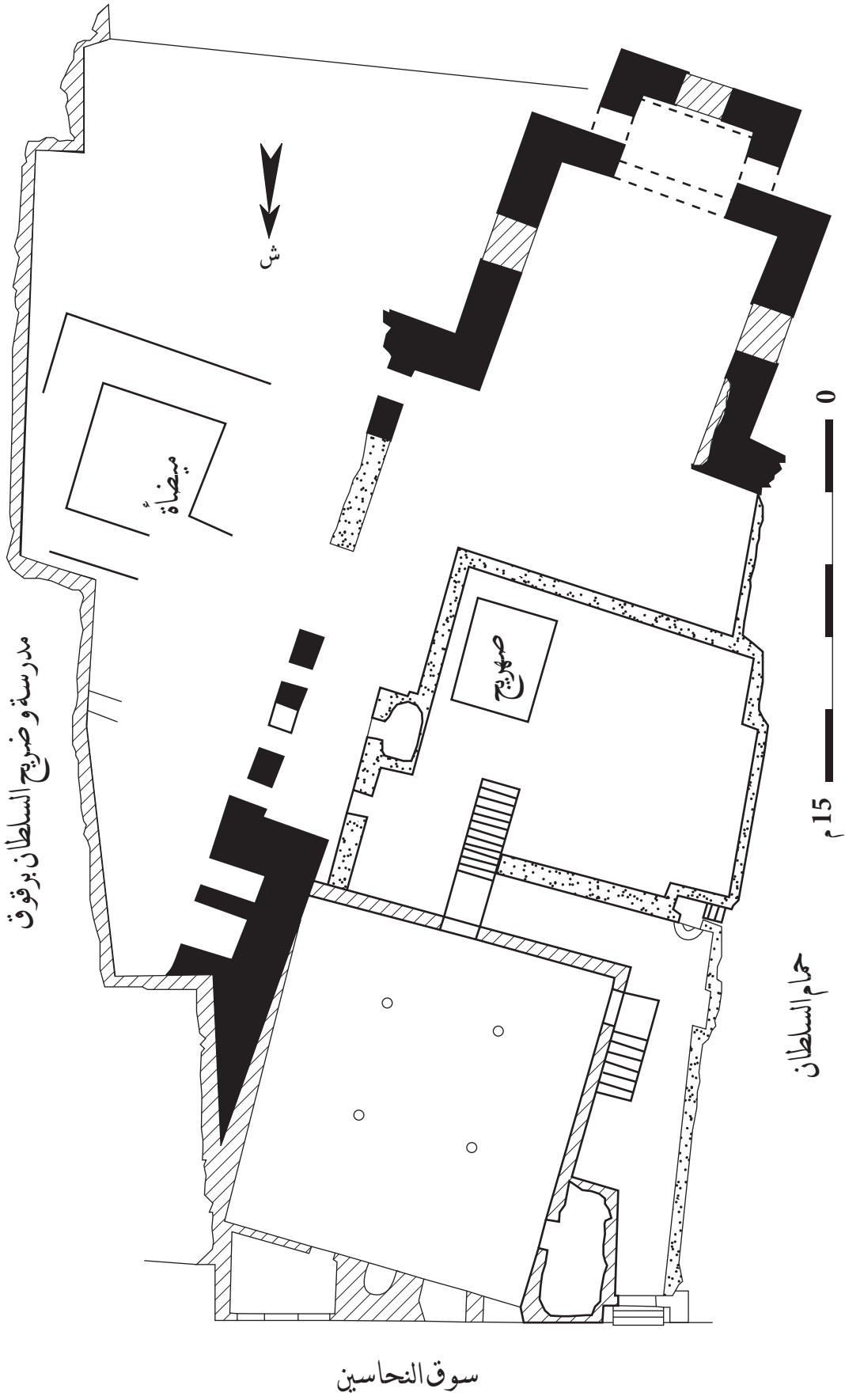
الخريطة 2: أوضاع المغرب السياسية في القرن 7 هـ / 13 م

ملحق المخططات

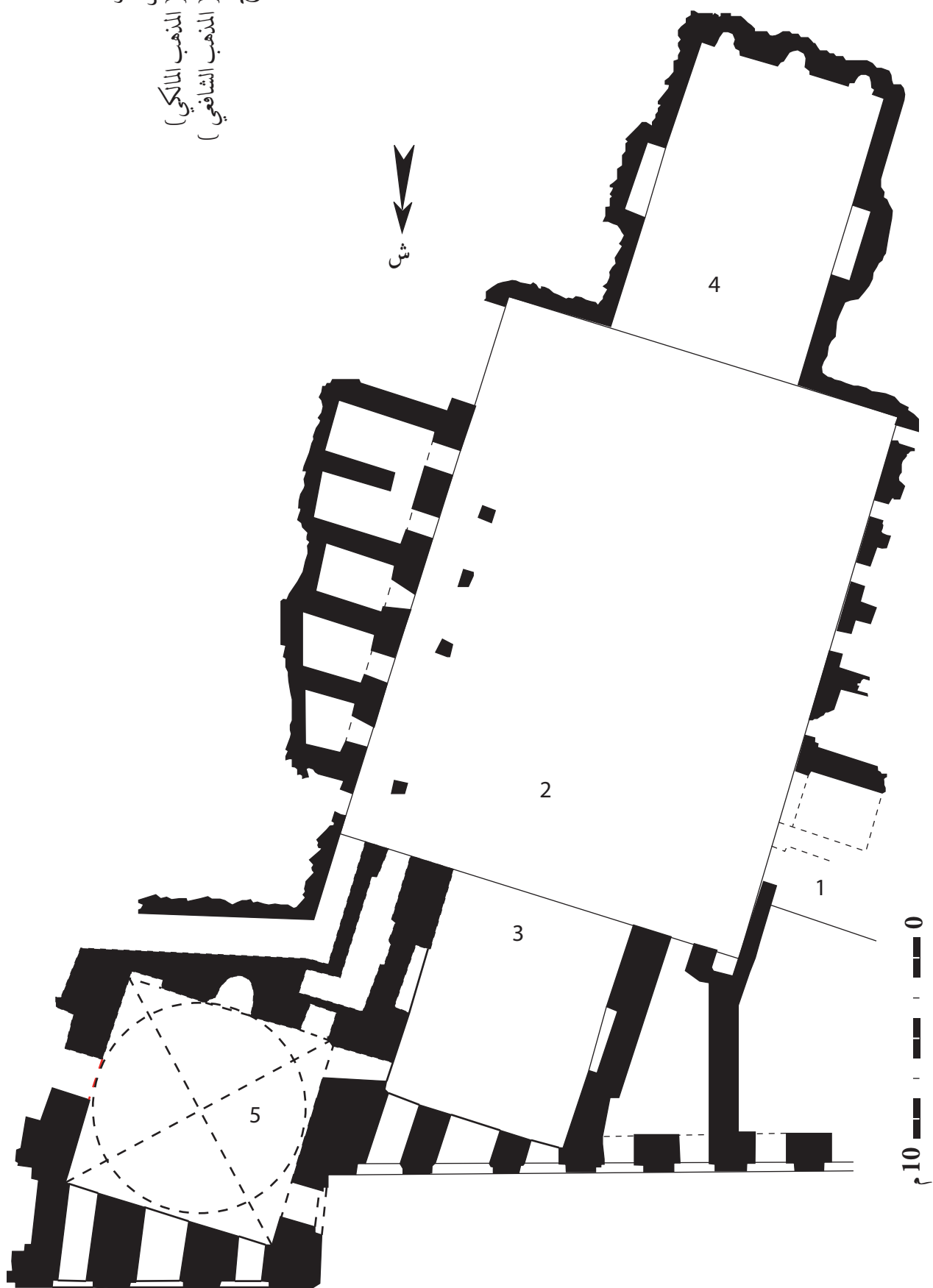


المخطط رقم 1 - المدرسة المستنصرية ببغداد (عن كريزول)

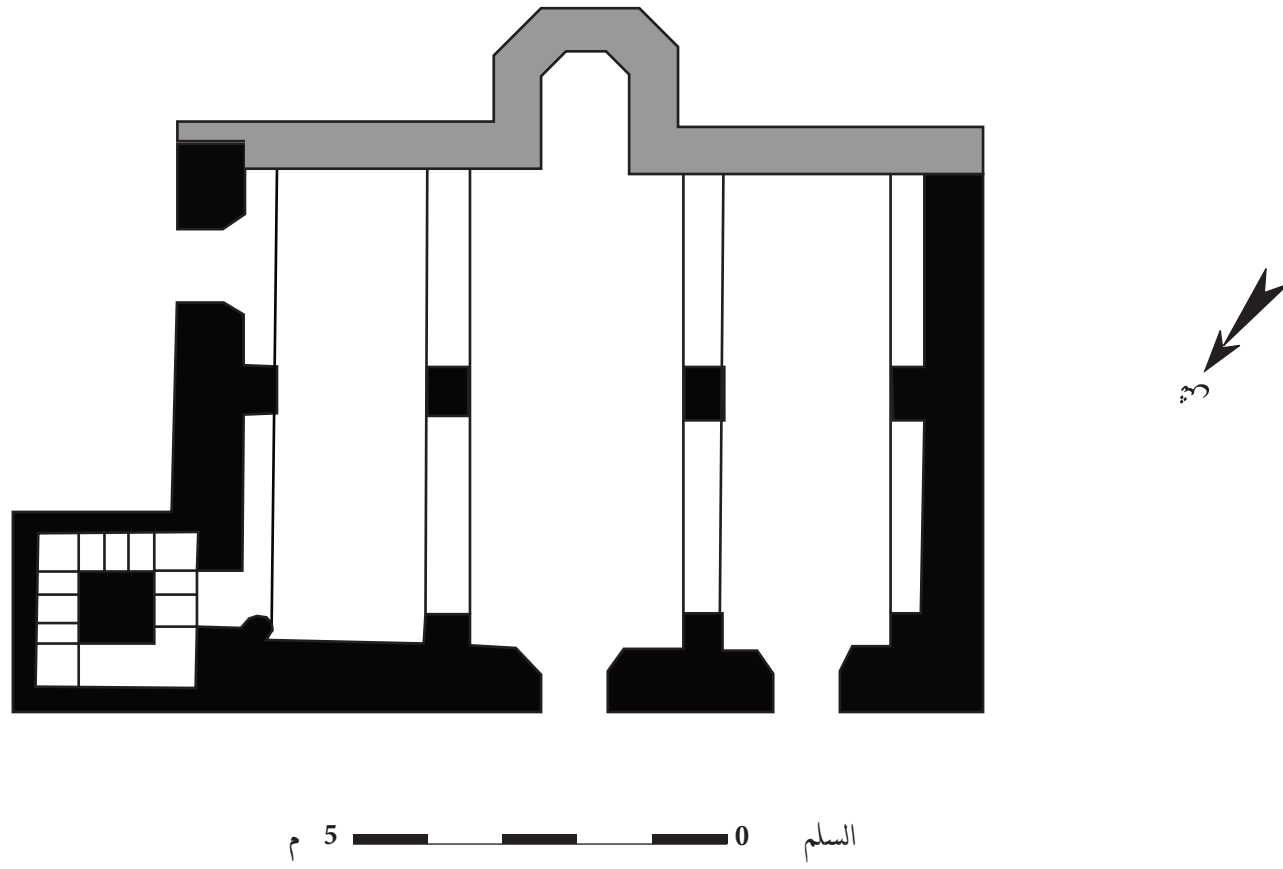
المخطط رقم 2 - المدرسة الكاملية بالقاهرة (عن كريزول)

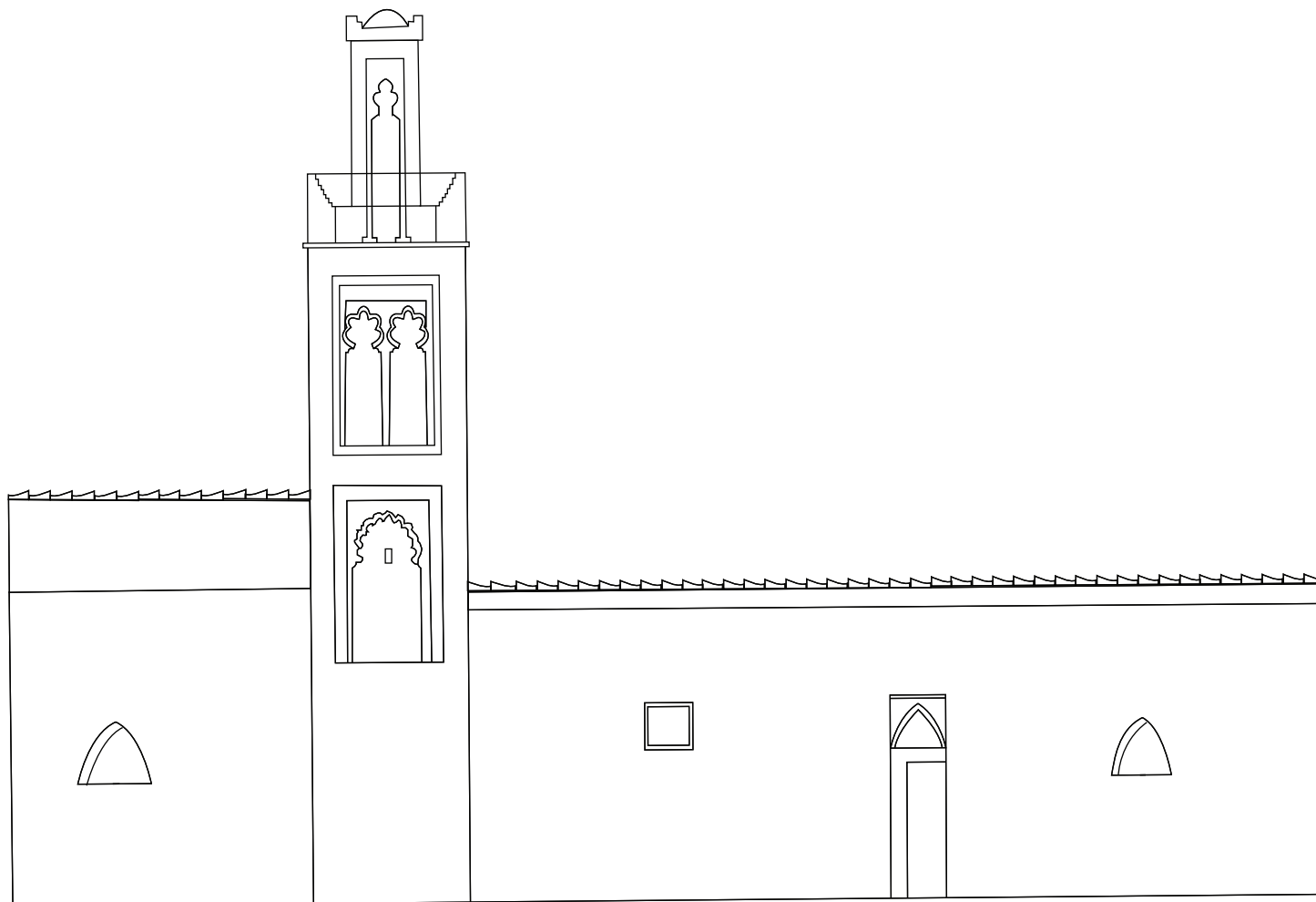


- 1 - المدخل
- 2 - الصحن
- 3 - إيوان (المذهب المالكي)
- 4 - إيوان (المذهب الشافعي)
- 5 - الضريح

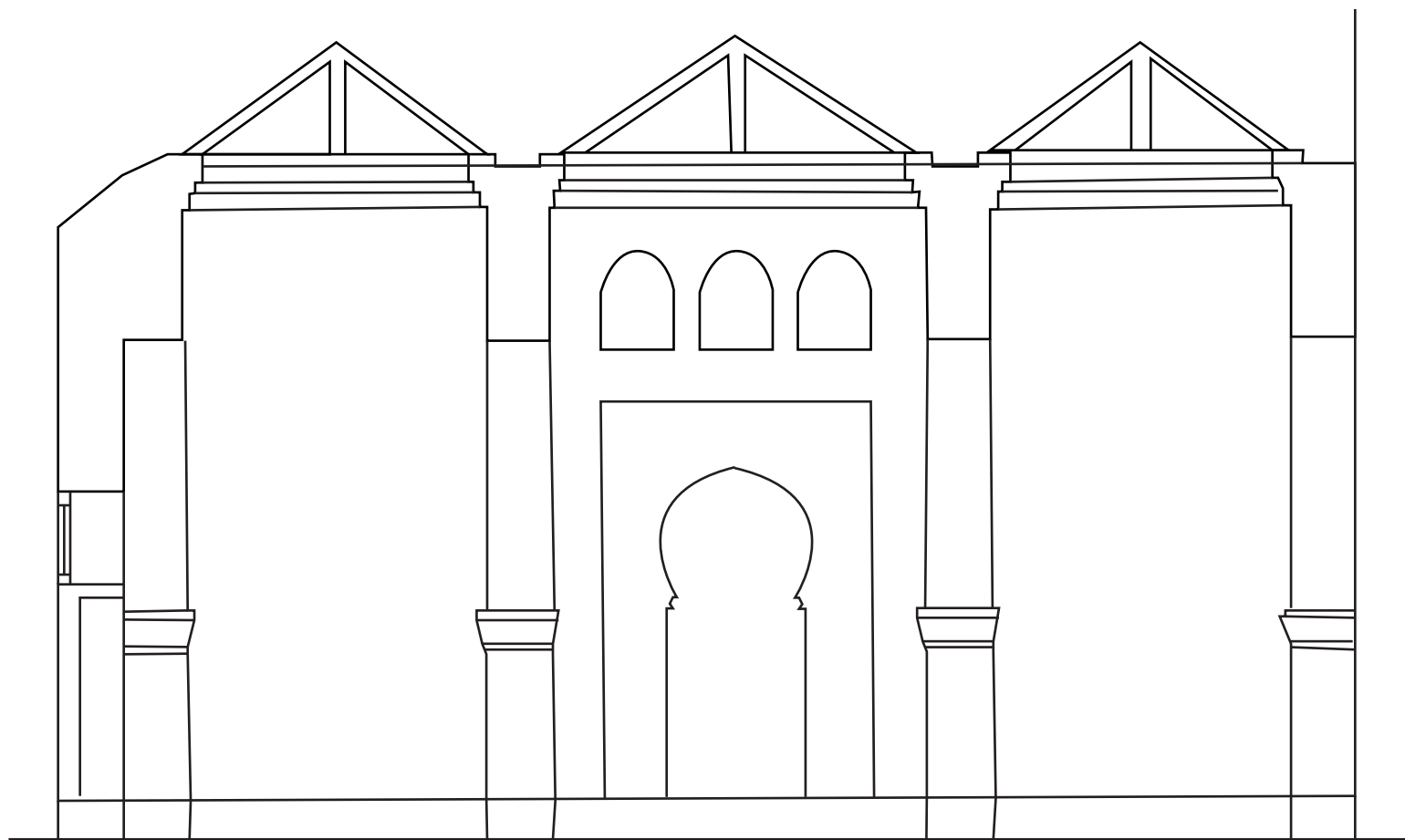


المخطط رقم 3 - المدرسة الصالحية بالقاهرة (عن كيزول)



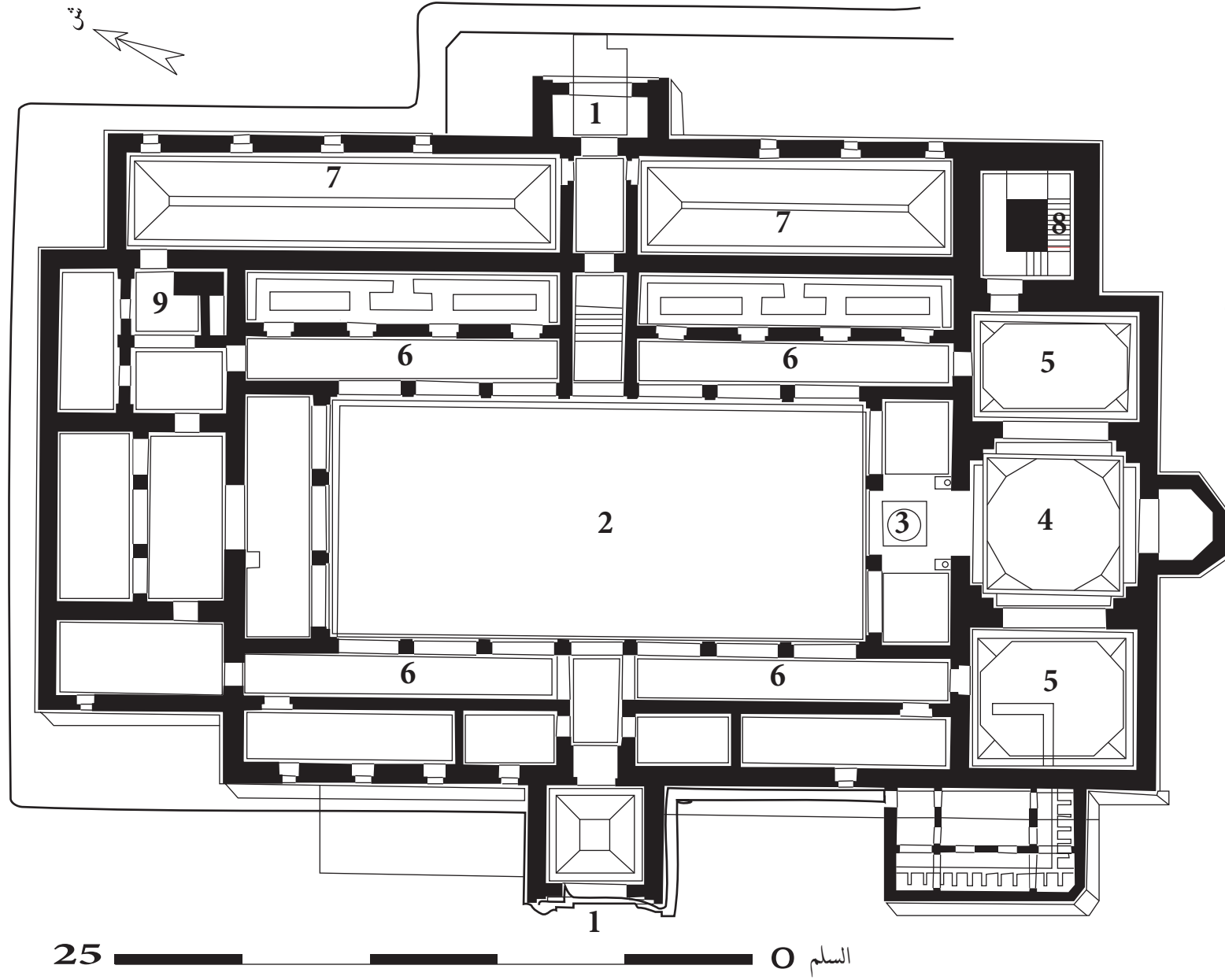


المخطط 5 : الواجهة الخارجية لمسجد أولاد الإمام



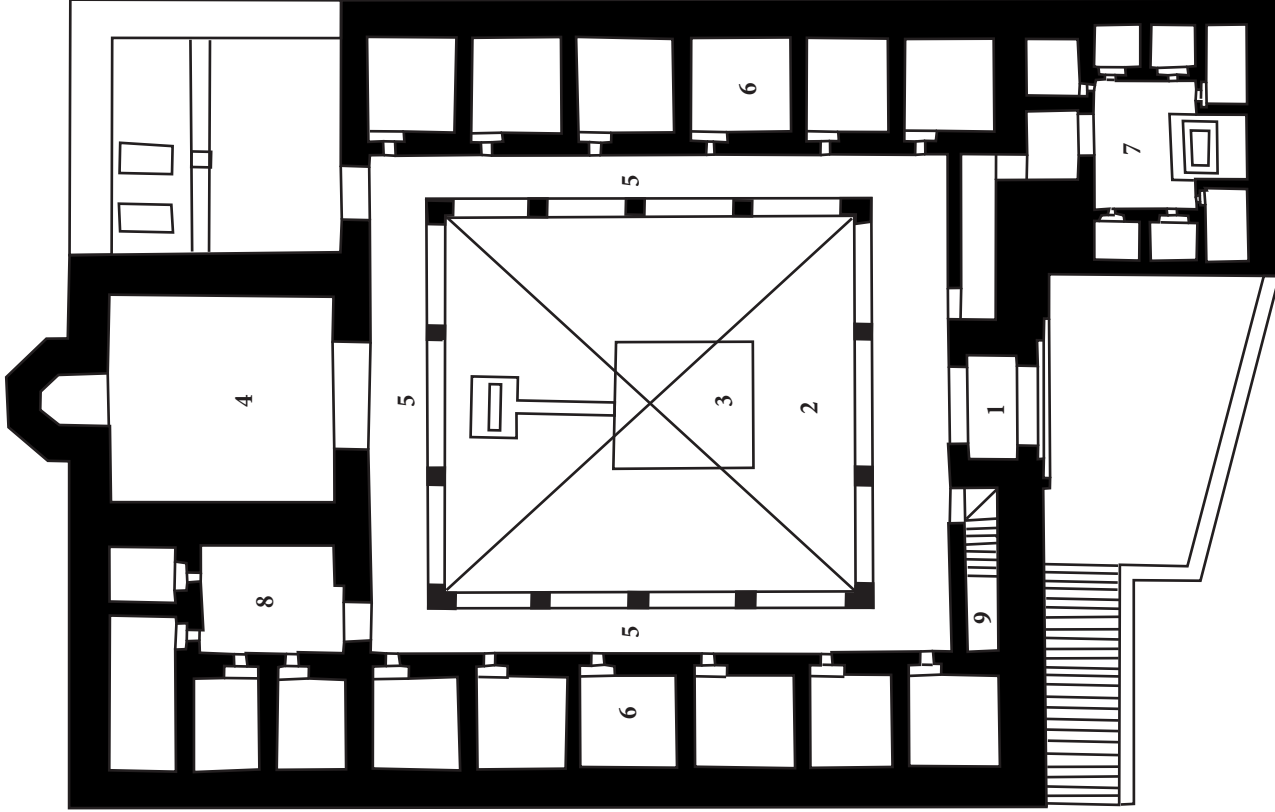
السلم 1/50 0 2,5 م

المخطط 6 - الواجهة الأمامية لمحراب مسجد أولاد الإمام



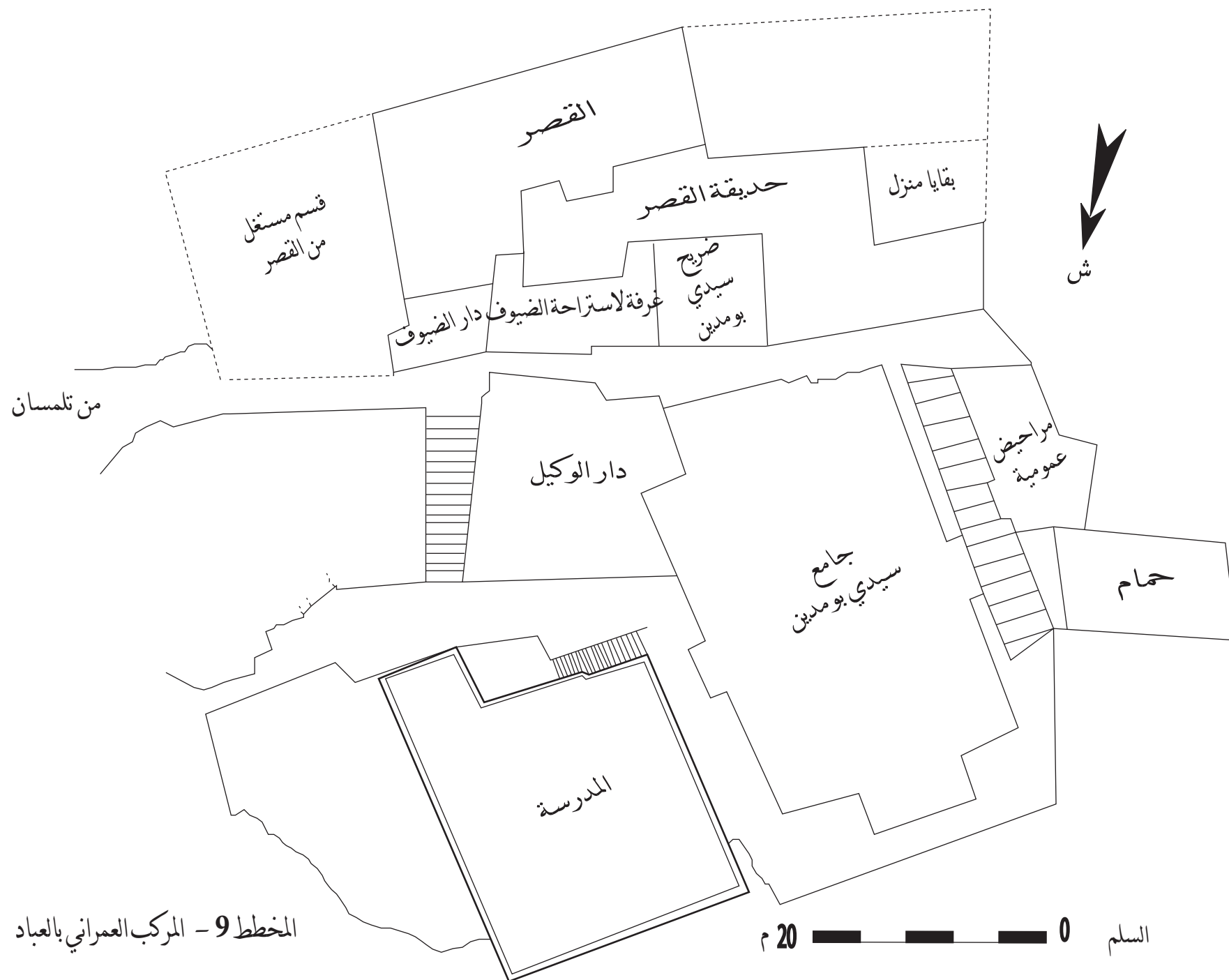
المخطط 7 - المدرسة التاشفينية (عن Marçais)

- 1 - المدخل
- 2 - الصحن
- 3 - النافورة
- 4 - قاعة الصلاة
- 5 - الأروقة
- 6 - بيوت الطلبة
- 7 - الميضاة
- 8 - جناح خاص بالمدرسين
- 9 - الدرج

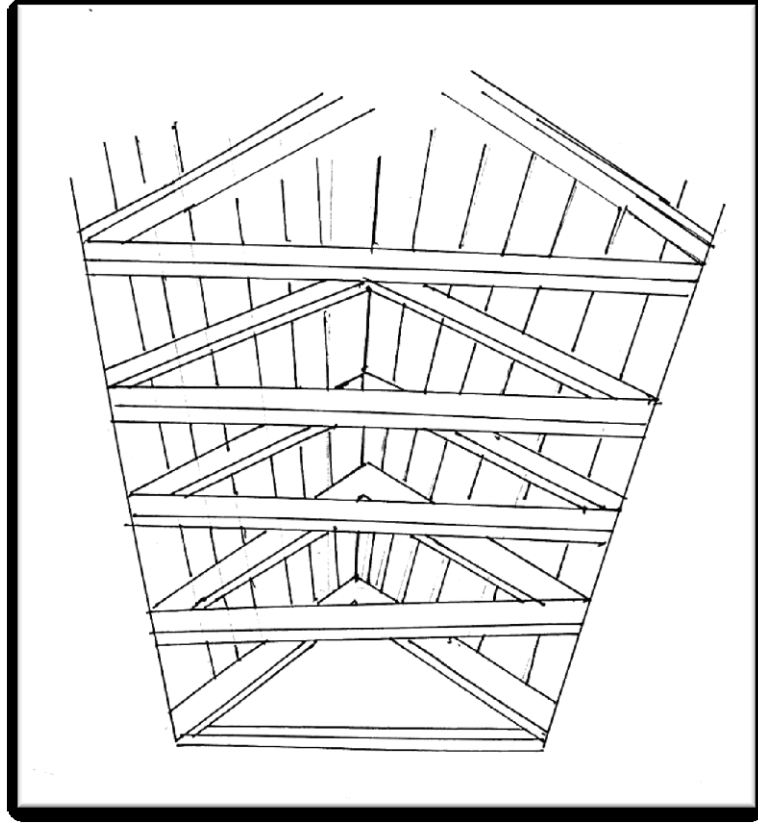


0 10 م

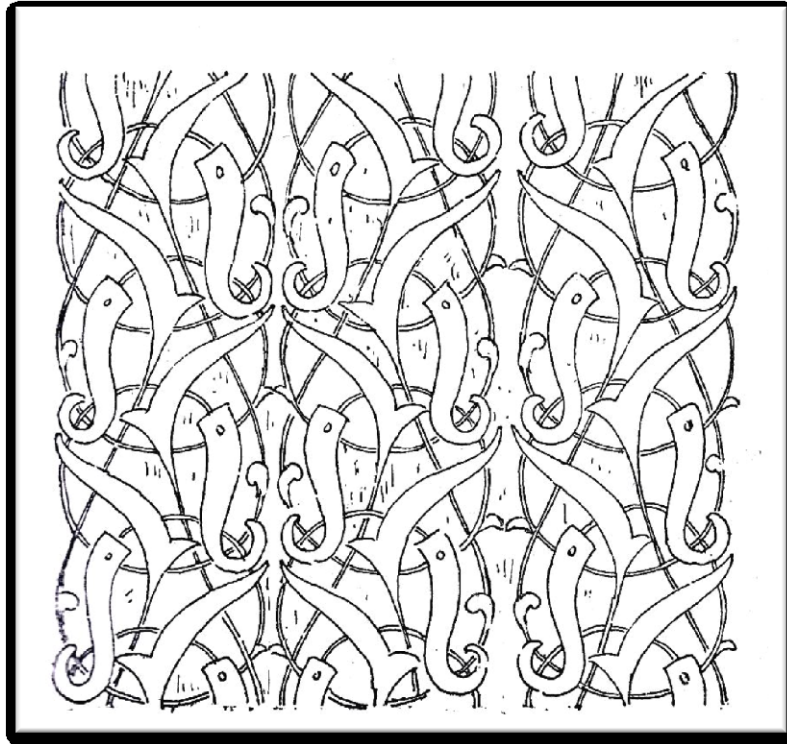
المخطط 8 - مدرسة سيدي بومدين بالعباد



ملحق الأشكال

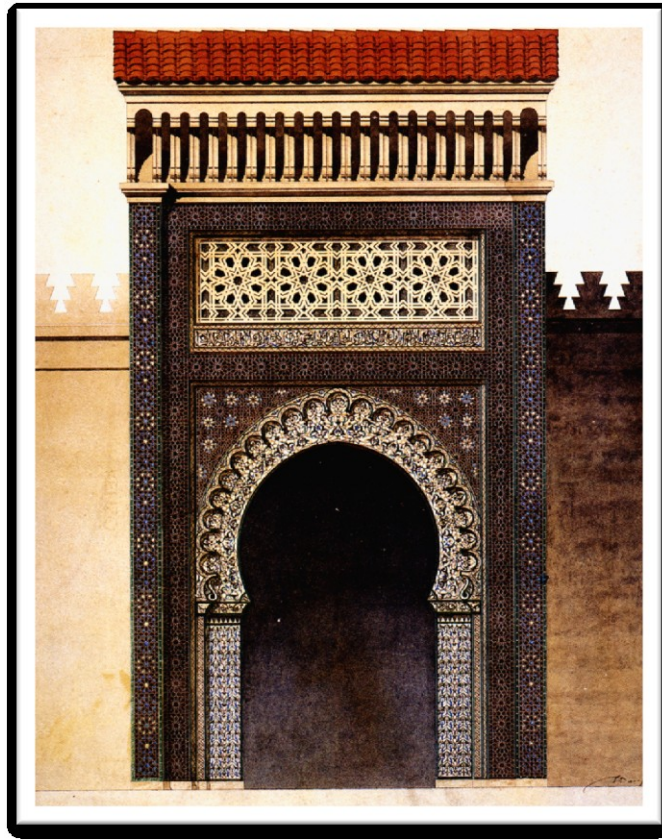


الشكل 1 - مسجد أولاد الإمام : طريقة بناء السقف

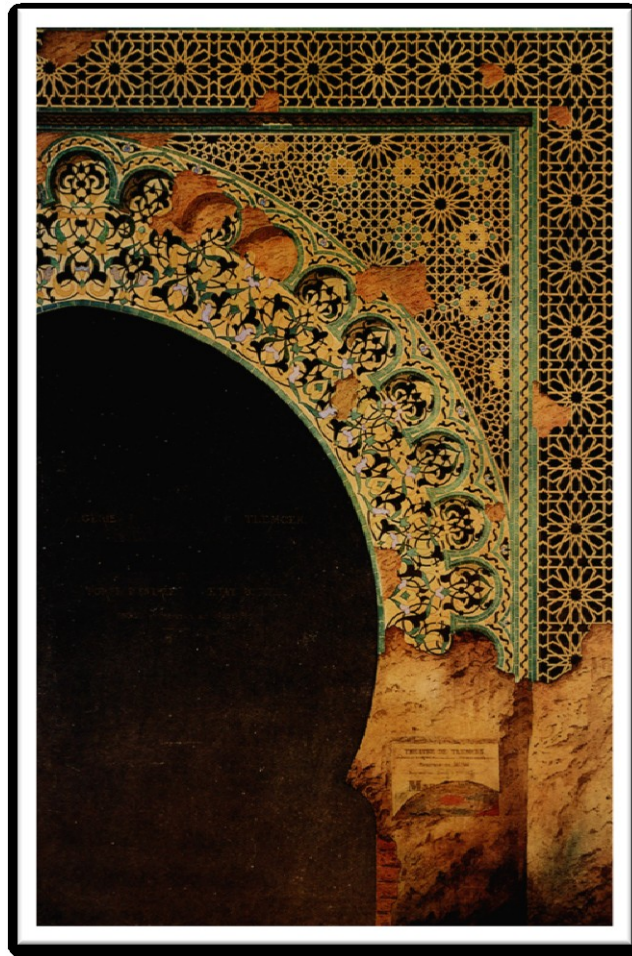


الشكل 2 - زخرفة نباتية متداخلة باطار محراب

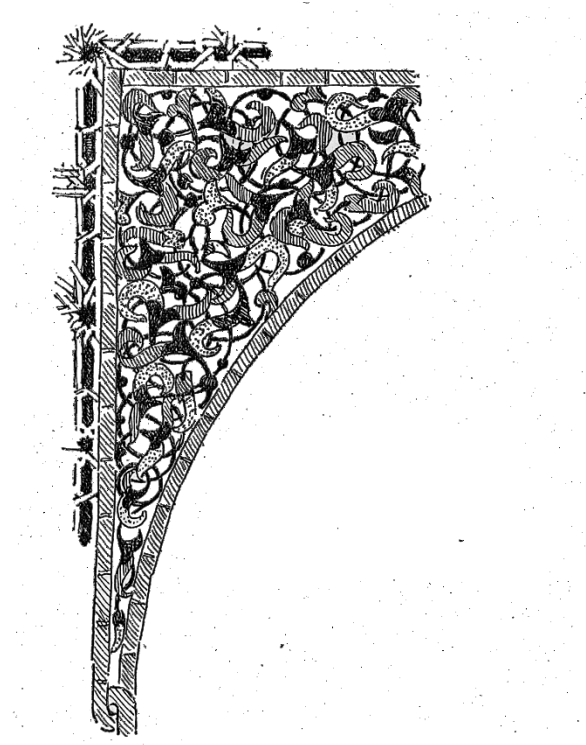
مسجد أولاد الإمام (عن Marçais)



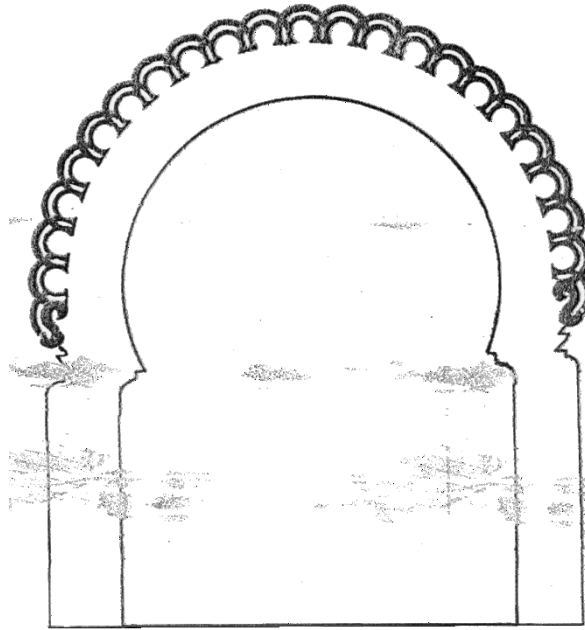
الشكل 3 – المدرسة التاشفينية : إعادة تصور للمدخل (عن Don joy)



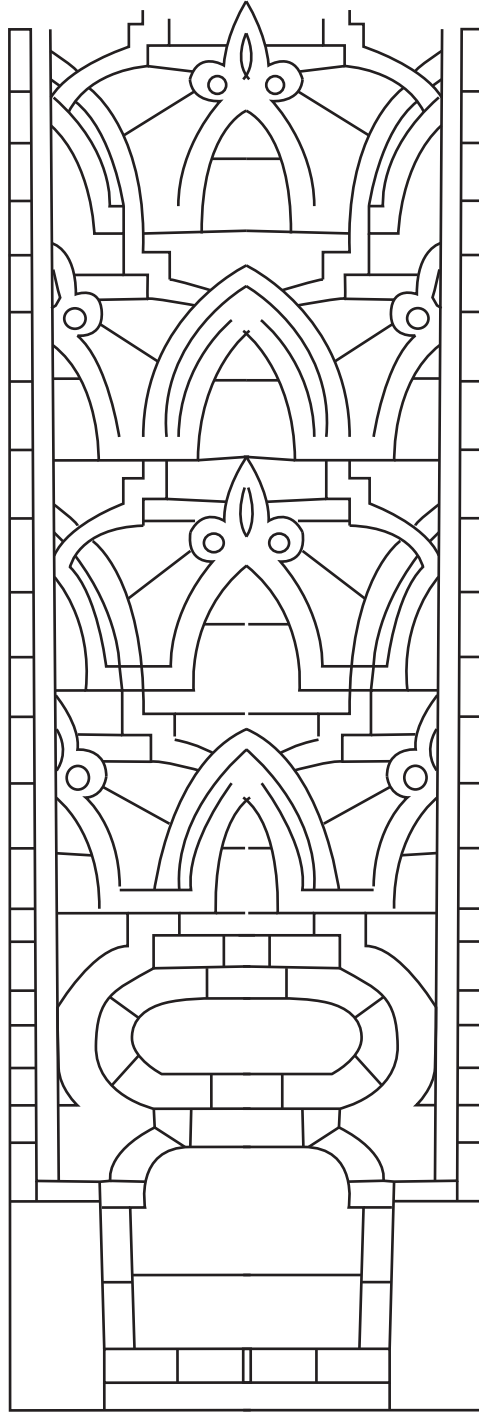
الشكل 4 – زخرفة توطر مدخل المدرسة التاشفينية (عن Don Joy)



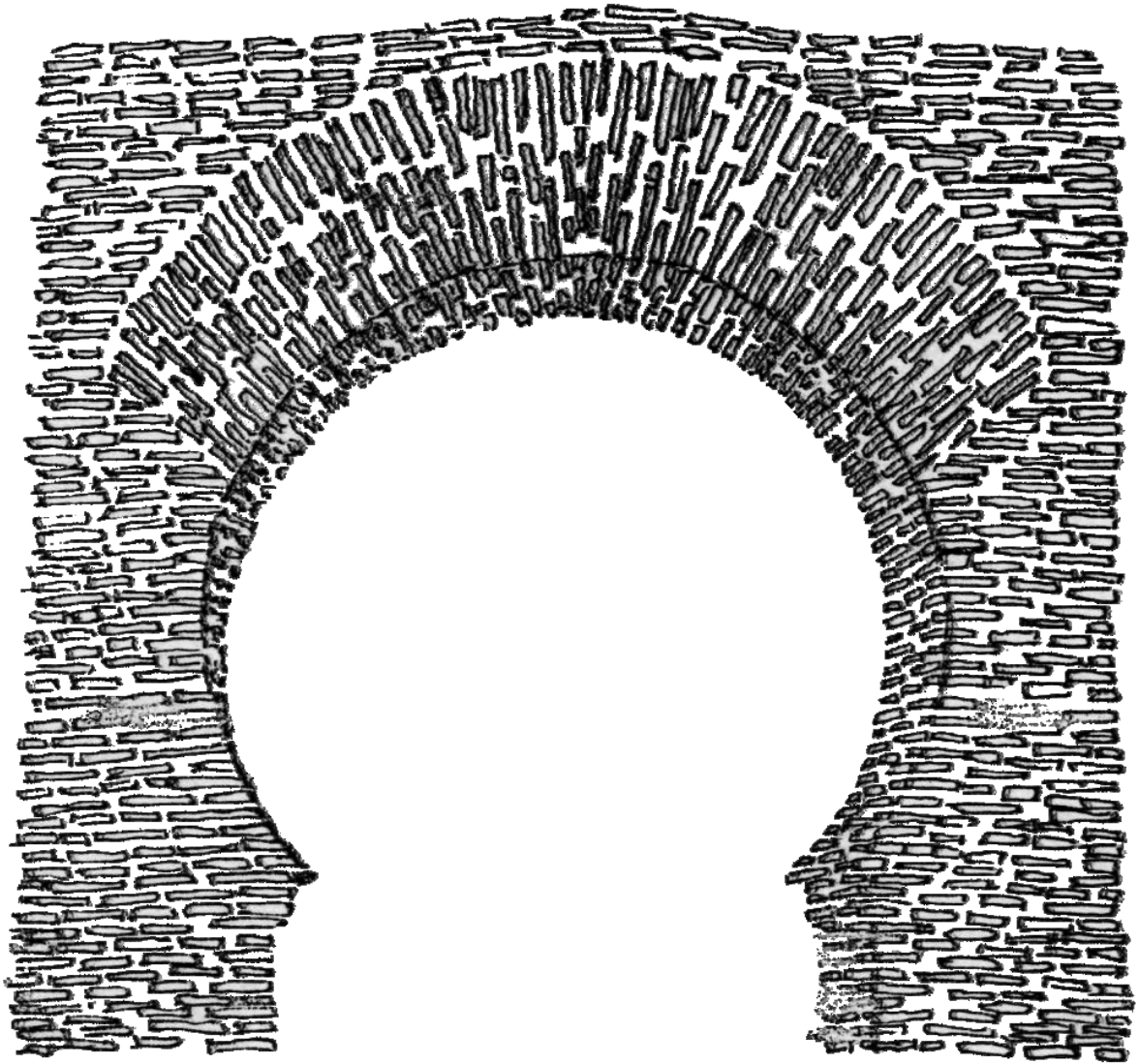
الشكل رقم 5 - زخرفة نباتية متشابكة توطر فسقية المدرسة التاشفينية (عن Marçais)



الشكل رقم 6 - رسم يوضح العقدين المتراكبين لمدخل مدرسة سيدي بومدين



الشكل 7 - رسم يوضح معينات إكليلية بإطار المدخل (عن Marçais)



الشكل رقم 8 - رسم يمثل طريقة بناء القوس بمدرسة سيدي بومدين

ملحق الصور



الصورة 1 - الأبواب الخارجية لمسجد اولاد الإمام



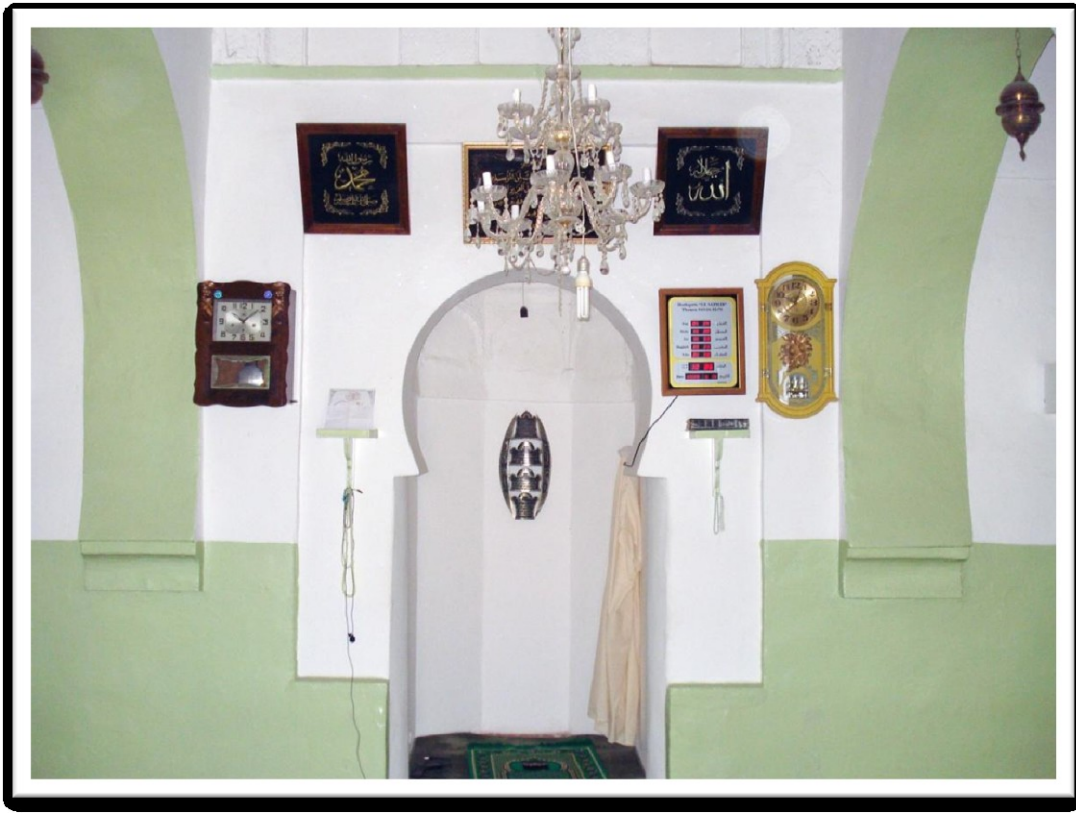
الصورة 2 - مدخل بيت الصلاة



الصورة 3 - مسجد اولاد الإمام: عقود بيت الصلاة



الصورة 4 - سقف جمالوني



الصورة 5 - محراب مسجد أولاد الإمام



الصورة 6 - زخرفة الجزء العلوي لأطار محراب مسجد اولاد الإمام



الصورة 7- مئذنة مسجد أولاد الإمام



الصورة 8 - زخرفة إحدى واجهات المئذنة



الصورة 9 - نموذج من الفسيفساء الخزفية للمدرسة التاشفينية



الصورة 10 - باب المدرسة التاشفينية الخشبي



الصورة 11 - تلمسان: مدرسة أبي مدين : المدخل الرئيسي



الصورة 12 - زخارف واجهة مدخل مدرسة سيدي بومدين



الصورة 13 - جزء تفصيلي من زخارف المدخل



الصورة 14 - صحن مدرسة سيدي بومدين



الصورة 15 - بيوت إقامة الطلبة (الطابق السفلي)



صورة 16 - الطابق العلوي



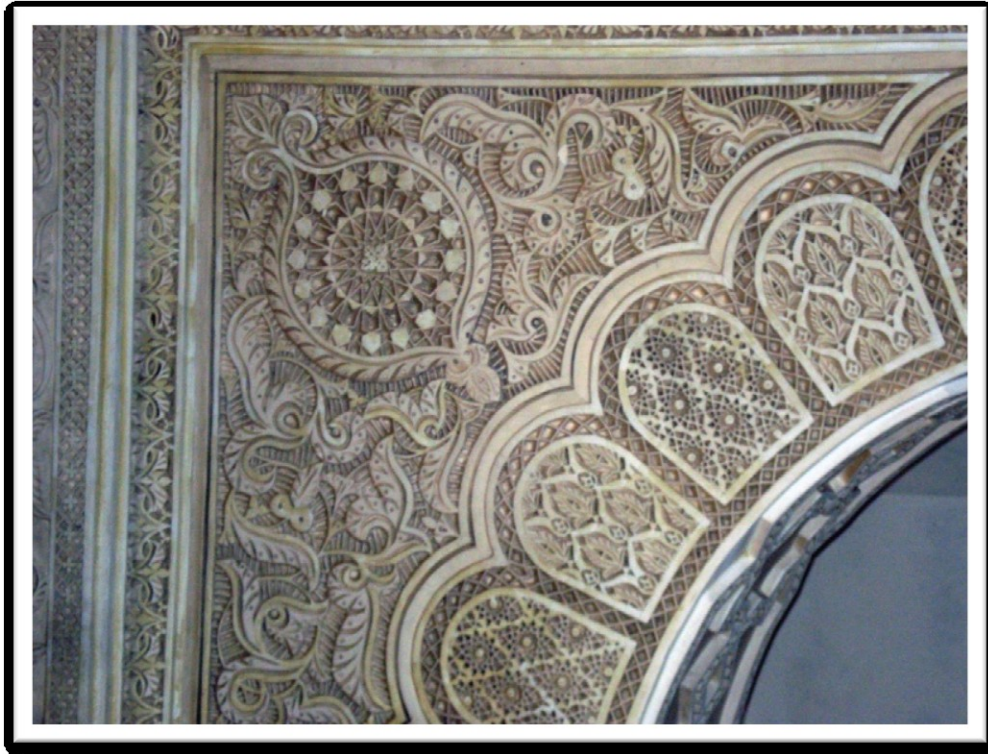
الصورة 17 - أحد مداخل سكنى الطلبة



الصورة 18 - سقف غرف إقامة الطلبة



الصورة 19 - محراب المدرسة



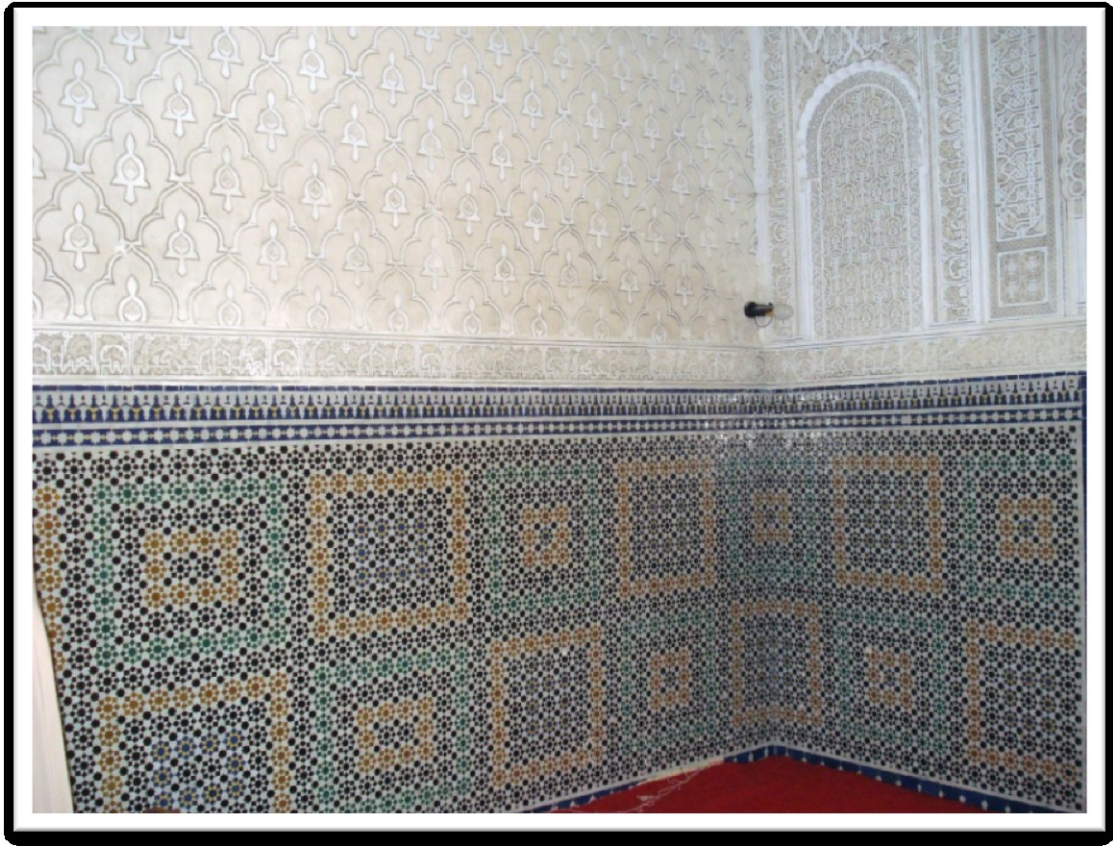
الصورة 20 - تلمسان :مدرسة أبي مدين : زخارف كوشة المحراب



الصورة 21- 22 - الزخرفة الكتابية المحيطة بمحراب مصلى سيدي بومدين



الصورة 23 - زخارف القبة الرئيسية



الصورة 24 - فسيفساء خزفية تغطي أسفل الجدران



الصورة 25 - منظر عام لموقع مدرسة سيدي الحلوي بجانب المسجد



الصورة 26 - مدخل جامع سيدي الحلوي

ثبت بالمصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا-المصادر والمراجع باللغة العربية:

I- المصادر:

- 1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- 2- أبو الحسن محمد بن أحمد (ابن جبير) (ت614هـ-1217م)
تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار، ط دار صادر، بيروت، 1964م.
- 3- أبو العباس أحمد التيجاني (ت1230هـ/1815م)
رحلة التيجاني، المطبعة الرسمية، تونس، 1958 م.
- 4- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد (ت1110هـ/1698م)
المؤنس في تاريخ إفريقيا و تونس، تحقيق محمد شمام، ط1، المكتبة العتيقة تونس، 1967.
- 5- ابن أبي زرع أبو الحسن (ت726هـ/1325م)
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط الرباط
1999.
- 6- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل) (ت807هـ/1404م)
روضة النسرین في دولة بني مرین، المطبعة الملكية، الرباط 1962.
- 7- ابن بطوطة، أبو عبد الله اللواتي الطنجي (ت779هـ-1377م)
الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت
1384هـ/1964م.
- 8- ابن جماعة محمد ابن إبراهيم سعد الله (ت733هـ/1333م)
تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم و المتعلم، مطبعة دار البشائر الإسلامية، 2008م.

- 9- ابن خلدون (عبد الرحمن) (ت 808هـ-1406م)
كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ذكر العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي
السلطان الأكبر، ج7، طبعة بولاق، بدون تاريخ.
- 10- ابن خلدون (يحيى) (ت 780هـ-1378م)
بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، م.و للنشر
الجزائر 1980.
- 11- ابن عذارى المراكشي (ابو عبد الله محمد) (ت 712هـ/1312م)
البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة ش. كولانو. ليفيروفنسال، بيروت
1948،
- 12- ابن مريم) (أبو عبيد الله محمد ابن احمد) (ت 1064هـ/1653م)
البيان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (دون تاريخ).
- 13- التنسي (محمد بن عبد الله) (ت 799هـ-1493م)
تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان تحقيق
محمود بوعيداد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
- 14- التلمساني ابن مرزوق (ت 781هـ-1379م)
المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن (تحقيق ماريّا خيسوسيغييرا، الشركة الوطنية
للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- 15- الحفناوي (ابو القاسم محمد) (ت 1360هـ/1943م)
تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر 1324 هـ / 1906 م
- 16- الروداني (أحمد بن سليمان) (ت 1094هـ/1683م)
صلة الخلف بموصل السلف، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
- 17- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) (ت 771هـ/
معيد النعم و مبيد النقم، تح محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ط1،
1905م.

- 18- السخاوي (شمس الدين) (ت 902هـ/1497م)
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، (د-ت) ج 7.
- 19- السلاوي (أحمد بن خالد) (ت 1315هـ/1897م)
الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 2 دار الكتاب، الدار البيضاء 1954.
- 20- الشهرستاني (محمد ابن عبد الكريم) (ت 548هـ/1154م)
الملل و النحل ، تحقيق كورتر ،لندن 1842.
- 21- القابسي (أبو الحسن) (ت 403هـ/1013م)
الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين دراسة وتحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية، ط 1، 1986.
- 22- القلصادي (أبو الحسن علي) (ت 891هـ/1487م)
رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأحفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
- 23- المقرئ: (أبو العباس احمد بن محمد التلمساني) (ت 1402هـ-1632م)
أ- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ضبط و تحقيق مصطفى النقا، إبراهيم الاياري، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي، المغرب، ج 3، الإمارات 1980.
ب- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تحقيق إحسان عباس، ج 5، دار صادر، دار صادر، بيروت 1388هـ/1968م.
- 24- المقرئ (أبو العباس تقي الدين احمد بن علي) (ت 845هـ-1451م)
كتاب المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئ، ج 2، القاهرة، (دون تاريخ).
- 25- النميري (ابن الحاج) (كان على قيد الحياة سنة 768هـ/1366م)
فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دراسة و إعداد محمد بن شقرون، الرباط، 1999.
- 26- الوزان (حسن بن محمد الزيات) المعروف بليون الإفريقي (ت 939هـ-1532م) وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ج 1، بيروت لبنان، 1983

II- المراجع :

- 1- إسماعيل علي سعيد
معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة، 1986.
- 2- بن خوجة محمد
تاريخ معالم التوحيد، المطبعة التونسية، تونس، 1358هـ.
- 3- بن عميرة محمد
دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- 4- بن قربة يوسف صالح
تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة، أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 5- بورويبة رشيد، دهينة عطاء الله
الجزائر في التاريخ من الفتح الى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- 6- بورويبة رشيد
الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح ، الجزائر ، 1979.
- 7- جوليان شارل أندري
تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2.
- 8- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد
تاريخ الجزائر العام، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
- 9- حاجيات عبد الحميد
أبو حمو موسى الزباني حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1394هـ/1974م.

- 10- الحريري محمد عيسى
تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني ،دار القلم للنشر و التوزيع ،ط1،
1405هـ/1985م.
- 11- حسن أمين
المدرسة المستنصرية، مطبعة شفيق، بغداد، 1960م.
- 12- الطمار محمد
تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2077.
- 13- حيدر كامل
العمارة العربية الإسلامية، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، دار الفكر
اللبناني، بيروت، ط1، 1990 .
- 14- الذهبي محمد بن احمد بن عثمان
سير أعلام النبلاء ،مؤسسة الرسالة ،بيروت، 1422هـ/2001م، ج2.
- 15- رالف. (ج)
المكتبة و دورها في التربية، ترجمة مصطفى الصاوي الجوني، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة،
1987.
- 16- سالم عبد العزيز
مدارس فاس في مساجد ومعاهد، سلسلة كتاب الشعب رقم 78، مطابع الشعب، القاهرة،
1960، ج2.
- 17- شاوش الحاج بن رمضان
باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية
1955.

18-عماد عبد السلام رؤوف

مدارس بغداد في العصر العباسي، دار البصري، بغداد، 1386 هـ/1966 م

19-عوني الحاج موسى

المدرسة المصباحية بفاس، ملاحظات حول إشعاعها العلمي ومميزاتها المعمارية المصنفة الفخرية للعالم محمد زبيس، المعهد الوطني للتراث تونس(د-ت).

20-الغزالي

إحياء علوم الدين، ج1، دار الكتب العلمية، ط1403هـ.

21-غنيمة محمد عبد الرحيم

تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان، المغرب1953.

22-فكري أحمد

مساجد القاهرة و مدارسها، دار المعارف، مصر، 1119هـ، ج2.

23-فيلاي عبد العزيز

تلمسان في العهد الزياني، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1

24-القبلي محمد

قضية المدارس المرينية، ملاحظات وتأويلات ضمن كتاب، في النهضة والتراكم المعرفة التاريخية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

25-قمبر محمود

دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1987م.

26-الكتاني يوسف

مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، ج1، بدون تاريخ.

27- لقبال موسى

المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة و نظم، ط2، الجزائر، 1981.

28- المليح السعيد

المدارس المرينية و دورها الفكري بالمغرب، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس، 1988-1989.

29- مارسى جورج

مدن الفن الشهيرة، ترجمة سعيد دحماني، دار النشر التل، 2004.

30- ماهر سعاد

مساجد مصر و أولياؤها الصالحون، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971م.

31- معروف ناجي

تاريخ علماء المستنصرية، ج1، بغداد، 1959.

32- مقدسى جورج

مؤسسات العلم الإسلامية ببغداد، الأبحاث تصدر عن الجامعة الأمريكية، بيروت، 1961، ج3.

III- المقالات:

1- حاجيات عبد الحميد

الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975.

2- لعرج عبد العزيز

النظام المعماري لمدارس المغرب، دراسة أثرية تحليلية، مجلة آثار، العدد 8، 2009.

VI- الرسائل الجامعية:

1) إسكان حسن

جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق 7هـ/13م إلى ق 9هـ/15م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ جامعة محمد الخامس، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط 1988-1987.

2) بوشقيق محمد

العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، قسم التاريخ، 2004.

3) عبدلي لخضر

الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم تاريخ، جامعة تلمسان، 2005.

4) لعرج عبد العزيز

المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية و فنية، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية، 1999، ج1.

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

I- المراجع:

1. **Bargès(J-J-L)**
- Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, paris 1859pp.326-331.
2. **Bourouiba(R)**
-L’art religieux musulman en Algérie, 2eme édition, S.N.E.D, Alger 1981.
3. **Duthoit (e)**
- Rapport sur une mission scientifique en Algérie, archives des missions scientifiques 1873, 3eme série, t1.
4. **Golvin (L)**
-La madrasa medievale ,EDISUD, 1995.
5. **Marcais (G)**
 - a- L’architecture musulmane d’occident arts et métiers graphique, paris, 1954.
 - b- Remarques sur les medersas funéraires en berberie « à propos de la tachfinia de Tlemcen », mélanges Gaudfroy demombynes, institut français, le Caire, 1937.
6. **Marcais (W)**
Musée de Tlemcen, édition Ernest Leroux, paris, 1906
- 7-Marcais (G) et (W)
Les monuments arabes de Tlemcen, fontemoiny, paris 1905.
- 8-Piesse (L) et Banal (J)
- Tlemcen (extrait de la revue l’Afrique française), paris 1889.
- 9-Koumas (A) et Nafa (CH)
- L’Algérie et son patrimoine, éditions du patrimoine, paris, 2003.

II- المقالات:

1- Alfred (b)

- Inscription arabes de Fès, extrait du journal asiatique, 1917-18 imprimeries nationales, paris, 1919

2-Brosslard (CH)

- « les inscriptions arabes de Tlemcen », revue africaine , 1859 ou 1862.p.p167-172.

3-Brunchving (R)

- « remarques sur les medersas tunisiennes»extrait de la revuetunisienne ,2ème trimestre 1931.

4-Hillenbrand (R)

- « madrassa », encyclopédie de l'islam T.V paris, GP Maisonneuve, 1986 -p1119/1120.

ملحق الفهارس

- أولا : فهرس الأعلام
- ثانيا : فهرس الأماكن
- ثالثا : فهرس المخططات
- رابعا : فهرس الأشكال
- خامسا : فهرس الصور

أولا: فهرس الأعلام

العلم/القوم	الصفحة
الأتراك	17
الأسبان	17
الاييون	48
إبراهيم المصمودي	32-7
إبراهيم ابن الأغلب	11
إبراهيم ابن إسماعيل ابن علان	14
ابن أبي زرع	49-3
ابن الرقيق	9
ابن عباس الونشريسي	22
ابن قومرت	4
ابن حجر العسقلاني	56
ابن خلدون (عبد الرحمن)	9-11-39-53.
ابن خلدون (يحيى)	9-39
ابن زكريا السوسي	33
ابن عباد	33
ابن غانية	14
ابن مرزوق	56
ابن مريم	48

33	ابن مليح اللمطي
51	ابن وريدة البغدادى
1	أبو إسحاق الأستزبادى
41-39-20-17-14-7-5	أبو الحسن علي (المريني)
14	ابو الربيع سليمان
14	أبو العلاء إدريس المأمون
57-39-26-20-19-17-6	أبو تاشفين
32-17	أبو ثابت
21	أبو حمو بن يعقوب ابن أبي زيد بن أبي زكريا بن أبي يحيى بنغمراسن بن زيان
57-19-18-17-6	أبو حمو موسى الأول
57-32-17-7	أبو حمو موسى الثاني
10	أبو خالد حبيب ابن أبي عبيدة
31	أبو العباس بن عمر البجائي
22	أبو الفضل التلمساني
10-9	أبو المهاجر دينار
4	أبو زكريا (السلطان الحفصي)
4	أبو زكريا يحيى الثاني
17	أبو زيان محمد
57-31-22-20-19-18-6	أبو زيد عبد الرحمن
14	أبو زيد ابن بوجان
49-47-41-32-17-14-7-5	أبو سعيد عثمان
48-47-7	أبو عبد الله الشوذى الاشيلي (سيدي الحلوي)

أبو عبد الله الشريف التلمساني	52-32
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام	6
أبو عمران موسى	14
أبو قرة اليفرنى	11
أبو موسى عيسى	52-22-20-18-6
أبو يعقوب ابن عبد الحق	39-5.
أبو يوسف يعقوب (المنصور الموحدي)	3
إدريس ابن عبد الله	26-11
إدريس الثاني (ابن إدريس)	11
أحمد ابن الحسن	48
أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي	33
أحمد فكري	8
بروسلار	22-18
بلج	10
بنو حفص (الحفصيون)	48-16
بنو عبد الواد (بنو زيان-الزيانيون)	14-16-19-21-32-34-35-36-38-39-51.
بنو غانية	16
بنو مرين (المرينيون)	3-6-16-17-19-38-39-40-47-48-49-
	58-5051
بنو ورتاجين بنو ماخوخ الزياني	38
بنو يلومي	14
تاج الدين السبكي	2

26	التنسي (ابو عبد الله)
14	الحسن بن حيون الكومي
35	الحمايون
11-10	الخوارج الصفريه (فرقة)
14	الخليفة السعيد (المعتصم)
28-27	دوتوا (المهندس)
28-27	دونجوي (الرسام)
2	رضوان ابن ولخشي
16-13-12-11-9	زناتة (الزنايون) (قبيلة)
19	زيري بن حماد المكلاطي (زيرم)
12	زيري بن عطية
48	السلاجة
39	السلوي (خالد الناصري)
14	سليمان بن محمد بن واندن الهنتاتي
11	سليمان بن عبد الله
58-24	الشريف التلمساني
2	صلاح الدين الأيوبي
12	عبد الرحمن ابن عبد الله (أمير قرطبة)
41	عبد الله ابن أبي سعيد عثمان
13	عبد المؤمن ابن علي
10	عبيد الله ابن الحبحاب
13	العباس بن مجتي
58	العبدري البلتسي

17	عثمان بن يغمراسن بن زيان
4	عطف (الأميرة الحفصية)
9	عقبة ابن نافع (الفهري)
2	علي بن السلار (الوزير)
24	علي بن الحاجب الفرعي
52	عمران المشدالي
12	الفاطيون (العبيدون)
10	كسيلة بن لمزم
10	كلثوم بن عياض القشيري القيسي
3	المالكية
42 – 30 – 22	مارسي (جورج)
21	المتوكل (أمير المؤمنين)
25	محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام
13	محمد ابن تنعيم المسوفي
14	محمد بن جابر بن يوسف
12 – 11	محمد بن خزر بن صولات
12 – 11	محمد بن سليمان بن عبد الله
12	محمد بن عبد الله بن عيسى
1	محمود الغزنوي
13	المرابطون
49	معاذ بن جبل
13	مزدلي تيلكان
19 – 13 – 12 – 11	مغراوة (قبيلة)

19	مندیل بن محمد الکنانی (الکاتب)
1	نصر الدین بن سبکتین
58-1	نظام الملک

ثانيا : فهرس الأماكن

الصفحة	المدينة / الموقع
3-12-14-16-20-38-48-52-55	الأندلس
2	الإسكندرية
9-26	أجادير
2	اصبهان
48	اشيلية
4	اغمات
3-9-12-38	افريقية
2	آمل
4	أنقى
18	باب كشوطة
14-31	بجاية
2	البصرة
1-2-55	بغداد
6-19-20	برشك
2	بلخ
9	بوماريا (تلمسان)
5-38	تازى
13	تاكراوت
12-14	تاهرت
14	تامزدكت

<p>تلمسان</p> <p>3-5-7-9-10-11-12-13-14-16-17-18-19-20</p> <p>21-26-30-31-32-33-34-35-36-38-39-40-42</p> <p>47-51-52-53</p>	
تنس	13
تونس	4-5-19-20-33-48-55
الجامع الأعظم	53
الرباط	29
العباد (قرية)	40
العراق	2
العقاب (معركة)	16-38
عدوة القرويين	3
غرناطة	48-51-55
فاس	3-20-27-32-33-36-38-39-52-55
فارس	1
القاهرة	51-55
قرطبة	12
القيروان	11-20
المدرسة البهيقية	1
المدرسة السعدية	1
المدرسة النظامية	1-2
المدرسة المستنصرية	2-3-50
المدرسة الكاملية	2
المدرسة الصالحية	2

51	المدرسة الحسينية
50-3	مدرسة الخلفائين
2	مدرسة نور الدين
4	المدرسة الشماعية
4	المدرسة التوفيقية (مدرسة الهواء)
4	المدرسة المريدية
5	مدرسة الصفارين
49-5	مدرسة فاس الجديد (مدرسة الدار البيضاء)
5	مدرسة دار المخزن
5	مدرسة الصهرج
5	مدرسة سلا
5	المدرسة المصباحية
51-50-46-40-36-7-5	مدرسة سيدي بومدين (مدرسة العباد - المدرسة الخلدونية)
6	المدرسة البوعنانية (بوعنانية مكناس)
6	المدرسة المتوكلية (مدرسة فاس)
36-35-31-30-29-28-27-26-6	المدرسة التاشفينية
33-32-7	المدرسة اليعقوبية
47-7	مدرسة سيدي الحلوي
18	المدرسة القديمة
25-18	مدرسة أولاد الإمام

27	مدرسة أبي الحسن
29	مدرسة معرة النعمان
29	المدرسة السلطانية
38-34-14-13-5	مراكش
2	مرو
48-12	المشرق
12-2	مصر
21	المطمر (بلمسان)
-33-27-26-19-18-17-16-13-12-9-7-6-5-4-3 52-51-50-49-48-39-38	المغرب
20	مكة
6	مكاس
20-5	مكاسة
19	مليانة
39-17	المنصورة
2	الموصل
2-1	نيسابور
14	وامنو

ثالثاً : فهرس المخططات

الصفحة	□ عنوان المخطط	□ رقم المخطط
76	مخطط المدرسة المستنصرية	1
77	مخطط المدرسة الكاملية	2
78	مخطط المدرسة الصالحية	3
79	مخطط مسجد أولاد الإمام	4
80	الواجهة الخارجية لمسجد أولاد الإمام	5
81	واجهة محراب مسجد أولاد الإمام	6
82	مخطط المدرسة التاشفينية	7
83	مخطط مدرسة سيدي بومدين	8
84	مخطط المركب العمراني بالعباد	9

رابعاً : فهرس الأشكال

الصفحة	عنوان الأشكال	رقم الشكل
86	تقنية بناء سقف مسجد أولاد الإمام	1
86	زخرفة نباتية متداخلة بإطار محراب مسجد أولاد الإمام	2
87	إعادة تصور لمدخل المدرسة التاشفينية	3
87	زخرفة توطر مدخل المدرسة التاشفينية	4
88	زخرفة نباتية متشابكة توطر فسقية المدرسة التاشفينية	5
88	رسم يوضح العقدتين المتراكبتين لمحل مدرسة سيدي بومدين	6
89	رسم لمعينات إكليلية بإطار مدخل سيدي بومدين	7
90	رسم يوضح طريقة بناء القوس بمدرسة سيدي بومدين	8

خامسا : فهرس الصور

رقم الصورة	عنوان الصورة	الصفحة
1	مسجد أولاد الإمام : الأبواب الخارجية	92
2	الباب الداخلي لمسجد أولاد الإمام .	92
3	مسجد أولاد الإمام : عقود بيت الصلاة	93
4	سقف جمالوني .	93
5	محراب المسجد	94
6	زخرفة الجزء العلوي لإطار المحراب .	94
7	مئذنة المسجد .	95
8	زخرفة الاطار العلوي للمئذنة	95
9	لوحة من الفسيفساء الخزفية للمدرسة التاشفينية	96
10	باب خشبي للمدرسة التاشفينية	96
11	مدخل مدرسة سيدي بومدين	97
12	زخرفة إطار مدخل سيدي بومدين	97
13	زخارف على هيئة معينات إكليلية بمدخل مدرسة سيدي بومدين	98
14	صحن مدرسة سيدي بومدين	98
15	بيوت إقامة الطلبة (الطابق السفلي) .	99
16	بيوت إقامة الطلبة (الطابق العلوي) .	99
17	باب غرفة إقامة الطلبة	100
18	سقف بيوت إقامة الطلبة	100
19	محراب المدرسة	101
20	الزخارف النباتية والهندسية في ركن إطار المحراب	101

102	الزخرفة الكتابية بمحراب المدرسة	21
102	الزخرفة الكتابية بمحراب المدرسة	22
102	زخرفة قبة بيت الصلاة	23
103	فسيفساء خزفية تغطي أسفل جدران بيت الصلاة	24
104	موقع المدرسة من عمران المدينة	25
104	مدخل جامع سيدي الحلوي	26

فهرس الموضوعات

.....	-المقدمة.....
1.....	المدخل.....
2.....	أولاً: ظهور المدارس و انتشارها.....
2.....	1- في المشرق.....
4.....	2- في المغرب.....
5.....	ثانياً: انتشار المدارس في بلاد المغرب.....
5.....	1- في تونس.....
6.....	2- في المغرب الأقصى.....
7.....	3- في تلمسان.....
9.....	ثالثاً: المدرسة مصطلحاً ووظيفة.....
10.....	رابعاً: نبذة تاريخية عن مدينة تلمسان.....
17.....	- الفصل الأول: المدارس الزيانية (633-846هـ/1253-1154م).....
19.....	- تمهيد.....
21.....	1- مدرسة أولاد الإمام.....
24.....	- الوصف المعماري للمدرسة.....
26.....	- التكوين المعماري للمسجد.....
26.....	- المدخل.....
26.....	- الصحن.....
26.....	- بيت الصلاة.....
27.....	- المحراب.....
27.....	- المئذنة.....
29.....	2- المدرسة التاشفينية.....
31.....	- المخطط العام للمدرسة.....
31.....	- المدخل.....
31.....	- الصحن.....
31.....	- بيت الصلاة.....

33.....	- الناحية الزخرفية.....
35.....	3- المدرسة اليعقوبية.....
37.....	- خلاصة الفصل.....
38.....	الفصل الثاني: المدارس المربنية (723-759هـ/1322-1357م).....
40.....	- تمهيد.....
42.....	1- مدرسة سيدي بومدين بالعباد.....
44.....	- المخطط العام للمدرسة.....
44.....	2- مكوناتها المعمارية.....
44.....	- المدخل.....
44.....	- الصحن.....
45.....	- غرفة اقامة الطلبة.(الطابق العلوي).....
45.....	- المصلى.....
46.....	- الميضاة.....
46.....	- الطابق العلوي.....
46.....	3- الناحية الزخرفية.....
46.....	- الزخارف النباتية.....
47.....	- الزخارف الكتابية.....
48.....	- الزخارف الهندسية.....
49.....	2- مدرسة سيدي الحلوي.....
53.....	- خلاصة الفصل.....
54.....	- مواد البناء المستعملة.....
56.....	الفصل الثالث نظام التعليم في الإسلام.....
58.....	1- منظومة المدرسة في الاسلام.....
61.....	2- نظام التعليم بالمغرب الأوسط.....
62.....	- مراحل التعليم.....
63.....	- طرق إلقاء الدروس.....
64.....	- الرحلة العلمية.....
65.....	- الإجازة العلمية.....

66.....	- إنشاء المكتبات لعامة
68.....	- جدول يبين أسماء العلماء بمدارس تلمسان
70.....	- خلاصة الفصل
71.....	- لخاتمة
74.....	- ملحق لخرائط
77.....	- ملحق المخططات
87.....	- ملحق الأشكال
93.....	- ملحق الصور
107.....	- ثبت بالمصادر و المراجع
118	- ملحق الفهارس
119.....	- فهرس الأعلام
125.....	- فهرس الأماكن
129.....	- فهرس المخططات
130.....	- فهرس الأشكال
131.....	- فهرس الصور
133.....	- الفهرس الموضوعات